فصـــل

[السؤال الثالث]

قال السائل : « **مشهور عندكم فى الكتاب والسنة أن نبيكم كان مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل لكنهم محوه عنهما لسبب الرياسة والمأكلة ، والعقل يستشكل ذلك ، أفكلهم اتفقوا على محو اسمه من الكتب المنزلة من ربهم شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً ؟! هذا أمر يستشكله العقل أعظم من نفيهم بألسنتهم لأنه يمكن الرجوع عما قالوا بألسنتهم والرجوع عما محوا أبعد** » .

والجواب : إن هذا السؤال مبنى على فهم فاسد ، وهو أن المسلمين يعتقدون أن اسم النبى ﷺ الصريح وهو محمد بالعربية مذكور فى التوراة والإنجيل[1] ـ وهما الكتابان المتضمنان لشريعتين ـ وأن المسلمين يعتقدون أن اليهود والنصارى فى جميع أقطار الأرض محوا ذلك الاسم وأسقطوه جملة من الكتابين وتواصوا بلك بُعداً وقُرباً وشرقاً وغرباً .

وهذا لم يقله عالم من علماء المسلمين ولا أخبر الله سبحانه به فى كتابه عنهم ، ولا رسوله ولا بكتهم[2] به يوماً من الدهر ولا قاله أحد من الصحابة ولا الأئمة بعدهم ولا علماء التفسير ، ولا المعتنون بأخبار الأمم وتواريخهم وإن قدر أنه قاله بعض عوام المسلمين يقصد به نصر الرسول فقد قيل : يضر الصديق الجاهل أكثر مما يضر العدو العاقل .

وإنما أتى هؤلاء من قِلّة فهم القرآن ، وظنوا أن قوله تعالى : ﴿ **الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ**

= محمد بن محمد الأنصارى قال فيه الحافظ : مجهول تعنم انظر لباب المنقول للسيوطى ص ٤١ ، وأسباب النزول للواحدى ص ٨٧ ، ٨٨

(١) ورد اسم محمد ﷺ صريحا فى إنجيل برنابا ، وورد مشاراً إليه أو صفة له فى الأناجيل والأسفار الخمسة وغيرها من الأسفار .. فبرنابا فى حديثه عن رسول الله على لسان عيسى يسميه فى إنجيله بثلاثة أسماء : « مَسِّيا ، ومحمد ، ورسول الله » اثنان رمزيان هما : « مسيا ، ورسول الله » وآخر صريح وهو « محمد » يقول برنابا فى إنجيله : « وبعد هذه السنين يجىء الملاك جبريل إلى الجحيم ويسمعهم يقولون : يا محمد أين وعدك لنا أن من كان على دينك لا يمكث فى الجحيم إلى الأبد فيعود حينئذ ملاك الله إلى الجنة ، وبعد أن يقترب من رسول الله باحترام يقص عليه ما سمع » [برنابا ١٣٦ : ١٨ ، ١٩] . وفى موضع آخر يقول : قالت المرأة : لعلك أنت مَسِّيا أيها السيد ؟ أجاب يسوع : إنى حقاً أرسلت إلى بنى إسرائيل نبى خلاص ولكن سيأتى بعدى « مَسِّيا » المرسل من الله لكل العالم الذى لأجله خلق الله العالم . [برنابا ٨٢ : ١٥ ، ١٦] كذلك فقد وردت بشارات عن محمد فى الأناجيل الأربعة لا يتسع المجال لذكرها . أما الأسفار الخمسة فقد اعتمدت فى بشارتها على حساب الجمل ، وحساب الجمل هو أبجد هوز حطى ..الخ . فالألف واحد والباء اثنان والجيم ثلاثة .. وهكذا . واليهود باستخدامهم لحساب الجمل يرمزون إلى اسم النبى الذى سيأتى من نسل إسماعيل وهو ما يوافق اسم محمد ﷺ .. إلى جانب ذلك هناك إشارات كثيرة عن النبى محمد فى غير الأسفار الخمسة كأشعياء وميخا وحبقوق وحجى وملاخى .

(٢) بَكتَه : لقيه بما يكره ، وقرَّعه ووبّخه .

عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ [الأعراف : ١٥٧] ، دل على الاسم الخاص بالعربية فى التوراة والإنجيل المخصوصين وأن ذلك لم يوجد البتة .

ذكر الرسول ﷺ فى كتبهم بالصفة أبلغ من الاسم

والحق أن الرب سبحانه إنما أخبر عن كون رسوله مكتوباً عندهم أى الإخبار عنه وصفته ومخرجه ونعته ، ولم يخبر بأن صريح اسمه العربى مذكور عندهم فى التوراة والإنجيل ، وهذا واقع فى الكتابين كما سنذكر ألفاظهما إن شاء الله ، وهذا أبلغ من ذكره بمجرد اسمه ، فإن الاشتراك قد يقع فى الاسم فلا يحصل التعريف والتمييز ، ولا يشاء أحد يسمى بهذا الاسم أن يدعى أنه هو إلا فعل ، إذ الحَوَالَة[1] إنما وقعت على مجرد الاسم ، وهذا لا يحصل به بيان ولا تعريف ولا هدى ، بخلاف ذكره بنعته وصفته وعلاماته ودعوته وصفة أمته ووقت مخرجه ونحو ذلك فإن هذا يعينه ويميزه ويحصر نوعه فى شخصه .

وهذا القدر مذكور فى التوراة والإنجيل وغيرهما من النبوات التى بأيدى أهل الكتاب كما سنذكرها ، ويدل عليه[2] :

أن رسول الله ﷺ كان أحرص الناس على تصديقهم له واتباعهم[3] إياه وإقامة الحجة على من خالفه وجحد نبوته ، ولاسيما أهل العلم والكتاب ، فإن الاستدلال عليهم بما يعلمون بطلانه قطعاً لا يفعله عاقل ، وهو بمنزلة من يقول لرجل : علامة صدق أنك فلان ابن فلان وصنعتك كيت وكيت وتعرف بكيت وكيت ولم يكن الأمر كذلك بل بضده ، فهذا لا يصدر ممن له مُسْكَة عقل ، ولا يصدقه أحد على ذلك ، ولا يتبعه أحد على ذلك ، بل ينفر العقلاء كلهم عن تصديقه واتباعه ، والعادة تحيل سكوتهم عن الطعن عليه والرد والتهجين لقوله ، ومن المعلوم بالضرورة أن محمد بن عبد الله ﷺ نادى معلناً فى هاتين الأمتين اللتين هما أعلم الأمم فى الأرض قبل مبعثه بأن ذكره ونعته وصفته بعينه عندهم فى كتبهم ، وهو يتلو ذلك عليهم ليلاً ونهاراً وسراً وجهاراً فى كل مجمع وفى كل نادٍ يدعوهم بذلك إلى تصديقه والإيمان به .

فمنهم من يصدق ويؤمن به ، ويخبر بما فى كتبهم من نعته وصفته وذكره كما سيمر بك إن شاء الله ، وغاية المكذب الجاحد أن يقول هذا النعت والوصف حق ولكن لَسْتَ أنت المراد به بل نبى آخر ، وهذا غاية ما يمكنه من المكابرة ، ولم تجد عليه هذه المكابرة إلا كشفه عورته وإبدائه الفضيحة بالذَّبِّ والبهتان ، فالصفات والنعوت والعلامات المذكورة عندهم

---

(١) الحوالة : الشهادة .

(٢) فى المخطوطة «ويدل عليه وجوه ؛ الأول ...» ولم يذكر المؤلف وجوها .

(٣) فى المخطوطة «على تصديقه واتبعه» والصواب ما أثبتناه .

منطبقة عليه حذو القذة بالقذة[1] بحيث لا يشك من عرفها ورآه أنه هو كما عرفه قيصر وسلمان بتلك العلامات المذكورات التى كانت عِنده من بعض علمائه ، وكذلك هرقل عرف نبوته بما وُصف له من العلامات التى سأل عنها أبا سفيان فطابقت ما عنده ، فقال : إن يكن ما تقول حقاً فإنه نبى وسيملك ما تحت قدمى هاتين . وكذلك ما قدمنا ذكرهم من الأحبار والرهبان الذين عرفوه بنعته وصفته كما يعرفون أبناءهم .

قال تعالى : ﴿ **الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُم ، وإِنَّ فَرِيقاً مِنْهُم لَيَكْتُمُونَ الحَقَّ وَهُم يَعْلَمُونَ** ﴾ [البقرة : ١٤٦] ، وقال فى موضع آخر : ﴿ **الَّذِينَ آتَيْنَاهُم الكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَما يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُم ، الَّذِينَ خسِرُوا أَنْفُسَهُم فَهُم لاَ يُؤْمِنُونَ** ﴾ [الأنعام : ٢٠] .

ومعلوم أن هذه المعرفة إنما هى بالنعت والصفة المكتوبة عندهم التى هى منطبقة عليه ، كما قال بعض المؤمنين منهم : والله لأحدنا أعرف به من ابنه ، إن أحدنا ليخرج من عند امرأته وما يدرى ما يحدث بعده .

ولهذا أثنى الله سبحانه على من عرف الحق منهم ولم يستكبر عن اتباعه فقال : ﴿ **لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ والَّذِينَ أَشْرَكُوا ، وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ، ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ * وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُم تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ * وَمَا لَنَا لاَ نُؤْمِنُ بِاللهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ ، وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ القَوْمِ الصَّالِحِينَ * فَأَثَابَهُمُ اللهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الجَحِيمِ** ﴾ [المائدة : ٨٢ ـ ٨٦] .

قال ابن عباس : لما حضر أصحاب النبى ﷺ بين يدى النجاشى وقرءوا القرآن سمع ذلك القسيسون والرهبان فانحدرت دموعهم مما عرفوا من الحق ، فقال الله تعالى : ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُم قِسِّيسِين وَرُهْبَانًا وأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرونَ** ﴾[2] الآيات .

وقال سعيد بن جبير : بعث النجاشى من خيار أصحابه ثمانين رجلاً إلى رسول الله ﷺ فقرأ عليهم القرآن فبكوا ورَقُّوا ، وقالوا : نعرف والله ، فأسلموا وذهبوا إلى النجاشى فأخبروه فأسلم ، فأنزل الله فيهم : ﴿ **وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ** ﴾[3] الآيات .

---

(١) القُذَّةُ : ريشة الطائر كالنسر والصقر بعد تسويتها وإعدادها لتركّب فى السهم . «وحذو القُذَّة بالقذة» يضرب مثلا للشيئين يستويان ولا يتفاوتان .

(٢) انظر أسباب النزول للواحدى [ص ١٥١] . [المائدة : ٨٢] .

(٣) انظر لباب المنقول للسيوطى [ص ٧٦] ، وأسباب النزول للواحدى [ص ١٥٢] وقد ذكر أنهم ثلاثون رجلاً .

وقال السُّدِّى : كانوا اثنى عشر رجلاً سبعة من القسيسين وخمسة من الرهبان فلما قرأ عليهم رسول الله ﷺ القرآن بكوا وقالوا : ﴿ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ واتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾[1] [آل عمران : ٥٣] .

قال ابن عباس : هم محمد وأمته ، وهم القوم الصالحون الذين طمعوا أن يدخلهم الله فيهم ، والمقصود أن هؤلاء الذين عرفوا أنه رسول الله ﷺ بالنعت الذى عندهم لم يملكوا أعينهم من البكاء وقلوبهم من المبادرة إلى الإيمان ، ونظير هذا قوله سبحانه : ﴿ قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لاَ تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا ۞ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً ۞ وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ [الإسراء : ١٠٧ ـ ١٠٩] . قال إمام التفسير مجاهد : هم قوم من أهل الكتاب لما سمعوا القرآن خرّوا سُجداً ، وقالوا : ﴿ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً ﴾ .

كان الله عز وجل قد وعد على ألسنة أنبيائه ورسله أن يبعث فى آخر الزمان نبياً عظيم الشأن يظهر دينه على الدين كله ، وتنتشر دعوته فى أقطار الأرض ، وعلى رأس أمته تقوم الساعة ، وأهل الكتابين مجمعون على أن الله وعدهم بهذا النبى ، فالسعداء منهم عرفوا الحق فآمنوا به واتبعوه ، والأشقياء قالوا : نحن ننتظره ولم يبعث بعد رسولاً ، فالسعداء لما سمعوا القرآن من الرسول عرفوا أنه النبى الموعود به فخروا سجداً لله إيماناً به وبرسوله وتصديقاً بوعده الذى أنجزه فرأوه عياناً فقالوا : ﴿ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً ﴾ .

وفد من نجران عند نبى الإسلام ﷺ

وذكر يونس بن بكير عن سلمة بن عبد يسوع عن أبيه عن جده قال يونس ـ وكان نصرانياً فأسلم : أن رسول الله ﷺ كتب إلى أهل نجران : « **بسم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، من محمد النبى رسول الله إلى أسقف نجران وأهل نجران سِلْمٌ أنتم ـ سِلْمٌ أنتم ـ إنى أحمد إليكم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، (أما بعد) .. فإنى أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد ، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد ، فإن أبيتم فالجزية ، فإن أبيتم فقد آذنتكم بحرب .. والسلام** » .

فلما أتى الأسقف الكتاب وقرأه فظع به وذعر ذعراً شديداً فبعث إلى رجل من أهل عمان

---

(١) يقول ابن كثير فى تفسيره : « قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس نزلت هذه الآيات فى النجاشى وأصحابه الذين حين تلا عليهم جعفر بن أبى طالب بالحبشة القرآن بكوا حتى أخضلوا لحاهم وهذا القول فيه نظر لأن هذه الآية مدنية وقصة جعفر مع النجاشى قبل الهجرة . وقال سعيد بن جبير والسدى وغيرهما : نزلت فى وفد بعثهم النجاشى إلى النبى ليسمعوا كلامه ويروا صفاته فلما رأوه وقرأ عليهم القرآن أسلموا وبكوا وخشعوا ثم رجعوا إلى النجاشى فأخبروه .

.. واختار ابن جرير أن هذه الآيات نزلت فى صفة أقوام بهذه المثابة سواء كانوا من الحبشة أو غيرها . [انظر ابن كثير فى تفسيره ٢/٨٥] .

يقال له : شرحبيل بن وداعة وكان من همدان ولم يكن أحد يدعى إلى معضلة قبله ، فدفع الأسقف كتاب رسول الله ﷺ إلى شرحبيل فقرأه ، فقال الأسقف : مارأيك يا أبا مريم ؟ فقال شرحبيل : قد علمت ما وعد الله إبراهيم فى ذرية إسماعيل من النبوة فما نأمن من أن يكون هذا هو ذاك الرجل ليس فى النبوة رأى ، لو كان أمر من الدنيا أشرت عليك فيه برأى وجهدت لك . فقال الأسقف : تنح فَاجْلِس فتنحى فجلس ناحية .

فبعث الأسقف إلى رجل من أهل نجران يقال له : عبد الله بن شرحبيل وهو من ذى أصبح من حمير فأقرأه الكتاب وسأله عن الرأى فيه ، فقال له مثل قول شرحبيل ، فأمره الأسقف فتنحى .

ثم بعث إلى رجل من أهل نجران يقال له : جبار بن فيض من بنى الحارث بن كعب فأقرأه الكتاب وسأله عن الرأى فيه ، فقال له مثل قول شرحبيل وعبد الله ، فأمره الأسقف فتنحى ناحية .

فلما اجتمع الرأى منهم على تلك المقالة جميعاً أمر الأسقف بالناقوس فضرب به ورفعت المُسُوحُ[1] بالصوامع ، وكذلك كانوا يفعلون إذا فزعوا بالنهار ، وإذا كان فزعهم ليلاً ضرب بالناقوس ورفعت النيران فى الصوامع ، فاجتمع أهل الوادى أعلاه وأسفله وطوله مسيرة يوم للراكب السريع وفيه ثلاثة وسبعون قرية وعشرون ومائة ألف مقاتل ، فقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ وسألهم عن الرأى فيه ، فاجتمع رأى أهل الرأى منهم على أن يبعثوا شرحبيل ابن وداعة الهمدانى وعبد الله بن شرحبيل وجبار بن فيض فيأتوهم بخبر رسول الله ﷺ .

فانطلق الوفد حتى إذا كانوا بالمدينة وضعوا ثياب السفر عنهم ولبسوا حُلَلاً لهم يجرونها من حِبَرَة[2] وخواتيم الذهب ، ثم انطلقوا حتى أتوا رسول الله ﷺ ، فسلموا عليه فلم يرد عليهم السلام ، وتصدوا لكلامه نهاراً طويلاً فلم يكلمهم وعليهم تلك الحلل والخواتيم الذهب ، فانطلقوا يبتغون عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وكانا معرفة لهم كانا يبعثان العير إلى نجران فى الجاهلية فيشترون لهما من بُرِّهَا وتمرها فوجدوهما فى ناس من المهاجرين والأنصار فى مجلس ، فقالوا : يا عثمان ويا عبد الرحمن إن نبيكم كتب إلينا بكتاب فأقبلنا مجيبين له فأتيناه فسلمنا عليه فلم يرد سلامنا ، فتصدينا لكلامه نهاراً طويلاً فأعيانا أن يكلمنا ، فما الرأى منكما أنعود ، أم نرجع إليه ؟ فقالا لعلى بن أبى طالب ـ وهو فى القوم ـ : ما ترى يا أبا الحسن فى هؤلاء القوم ؟ فقال على لعثمان وعبد الرحمن : أرى أن يضعوا حللهم هذه وخواتيمهم ويلبسوا ثياب سفرهم ثم يعودون إليه ، ففعل وفد نجران ذلك ، ووضعوا حللهم

---

(١) مفردها : المِسْحُ : وهو ثوب الراهب (مولدة) .

(٢) الحِبَرَةُ : ثوب من قطن أو كتّان مخطط كان يصنع باليمن . والجمع (حِبَرٌ) .

وخواتيمهم ، ثم عادوا إلى رسول الله ﷺ فسلموا عليه فرد عليهم سلامهم ، ثم قال : « **والذى بعثنى بالحق لقد أتونى المرة الأولى وإن إبليس لمعهم** » ، ثم سألهم وسألوه فلم تزل به وبهم المسألة حتى قالوا له : ما تقول فى عيسى فإنا نحب أن نعلم ما تقول فيه ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ **إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۝ الحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلاَ تَكُن مِنَ المُمْتَرِينَ ۝ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ العِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُم ، وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُم وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ، ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ** ﴾ [آل عمران : ٥٩ ـ ٦١] ، فأبوا أن يقروا بذلك .

فلما أصبح رسول الله ﷺ بعدما أخبرهم الخبر أقبل مشتملاً على الحسن والحسين فى خميلة[1] له وفاطمة تمشى عند ظهره إلى الملاعنة وله يومئذ عدة نسوة ، فقال شرحبيل لصاحبيه : **يا عبد الله بن شرحبيل ويا جبار بن فيض لقد علمتما أن الوادى إذا اجتمع أعلاه وأسفله لم يردوا ولم يصدروا إلا عن رأيى وإنى والله أرى أمراً مقبلاً ، والله لئن كان هذا الرجل ملكاً مبعوثاً فكنا أول العرب طَعَن فى عينه ورد عليه فى أمره لا يذهب لنا من صدره ولا من صدور قومه حتى يصيبنا بجائحة[2] ، وإنا لأدنى العرب منهم جواراً ، ولئن كان هذا الرجل نبياً مرسلاً فلاعناه لا يبقى على وجه الأرض منا شعرة ولا ظفر إلا هلك . فقال له** صاحباه : فما الرأى يا أبا مريم ؟ فقد وضعتك الأمور على ذراع فهات رأيك ، فقال : رأيى أن أحكِّمه ، فإنى أرى الرجل لا يحكم شططاً أبداً ، فقالا له : أنت وذاك .

فلقى شرحبيل رسول الله ﷺ ، فقال : إنى قد رأيت خيراً من ملاعنتك ، فقال : « **وما هو ؟** » قال شرحبيل : حكمك اليوم إلى الليل وليلتك إلى الصباح فمهما حكمت فينا فهو جائز ، فقال رسول الله ﷺ : « **لعل وراءك أحداً يثرب[3] عليك ؟** » ، فقال له شرحبيل : سل صاحبىَّ ، فسألهما فقالا : ما نرد الموارد ولا نصدر المصادر إلا عن رأى شرحبيل .

فرجع رسول الله ﷺ ولم يلاعنهم ، حتى إذا كان الغد أتوه فكتب لهم كتاب صلح وموادعة ، فقبضوا كتابهم وانصرفوا إلى نجران .

فتلقاهم الأسقف ووجوه نجران على مسيرة ليلة من نجران ، ومع الأسقف أخ له من أمه وهو ابن عمه من النسب يقال له : أبو علقمة ، فدفع الوفد كتاب رسول الله ﷺ إلى

---

(١) الخميلة : القطيفة ، والجمع خَمِيل .

(٢) الجائحة : المصيبة تحُلُّ بالرجل فى ماله فتجتاحه كله . والجمع : جوائح .

(٣) ثَرَّب : أفسد وخلّطَ ، ثرب فلاناً ، وعليه : لامه وعيَّره بذنبه .

الأسقف ، فبينما هو يقرؤه وأبو علقمة معه وهما يسيران إذْ كَبَتْ بأبى علقمة ناقته فَتَعَسَ[1] ، غير أنه لا يكنى عن رسول الله ﷺ ، فقال له الأسقف عند ذلك : قد والله تَعَّسْتَ نبياً مرسلاً ، فقال له أبو علقمة : لا جرم والله لا أحل عنها عقداً حتى آتيه ، فضرب وجه الناقة نحو المدينة وثنى الأسقف ناقته عليه ، فقال له : افهم عنى ، إنما قلت هذا مخافة أن يبلغ عنى العرب أنَّا أخذتنا حمقة أو نَخَعْنَا لهذا الرجل بما لم تَنْخَع به العرب ونحن أعزهم وأجمعهم داراً .

فقال له أبو علقمة : والله لا أقيلك ما خرج من رأسك أبداً ، ثم ضرب ناقته يقول :

إليك تعدو قلقاً وضينها[2] معترضاً فى بطنها جنينها

مخالفاً دين النصارى دينها

حتى أتى النبى ﷺ فلم يزل معه حتى استشهد بعد ذلك[3].

الأدلة على أنه مذكور فى الكتب المنزلة

وإذا عرف هذا فالعلم بأنه ﷺ مذكور فى الكتب المتقدمة يعرف من وجوه متعددة :

— **أحدها** : إخبار من قد ثبتت نبوته قطعاً بأنه مذكور عندهم فى كتبهم ، فقد أخبر به من قام الدليل القطعى على صدقه فيجب تصديقه فيه ، إذ تكذيبه والحالة هذه ممتنع لذاته ، هذا لو لم يعلم ذلك إلا من مجرد خبره فكيف إذا تطابقت الأدلة على صحة ما أخبر به .

— **الوجه الثانى** : أنه جعل الإخبار به من أعظم أدلة صدقه وصحة نبوته ، وهذا يستحيل أن يصدر إلا من واثق كل الوثوق بذلك وأنه على يقين جازم به .

— **الثالث** : أن المؤمنين به من الأحبار والرهبان الذين آثروا الحق على الباطل صدقوه فى ذلك وشهدوا له بما قال .

— **الرابع** : أن المكذبين والجاحدين لنبوته لم يمكنهم إنكار البشارة والإخبار بنبوة نبى عظيم الشأن صفته كذا وكذا وصفة أمته ومخرجه وشأنه ، لكن جحدوا أن يكون هو الذى وقعت

---

(١) تَعَسَ : عثر فسقط وأكبَّ على وجهه ، وتَعَسَ : هلك .

(٢) قال ابن هشام : الوضين : الحزام ، حزام الناقة .. والمصادر التى نسبت الرجز لكرز بن علقمة أخى الأسقف ورئيس وفد نجران ، ابن سعد فى الطبقات [١٦٥/١ ، ٣٥٧/١] والإصابة لابن حجر [٢٨٤/١٨] ونهاية الأريب [١٢٢/١٨] . والمصادر التى نسبت الأبيات لبشر بن معاوية وكنيته أبو علقمة النجرانى فهى البداية والنهاية [٥٥/٥] ودلائل النبوة [٣٩٠/٥] والإصابة [٢٦٥/١] . أما المصادر التى نسبتها لعمر بن الخطاب متمثلاً بها معجم البكرى [١١٩٢/٤] والاستيعاب [٨٩٠/٣ ، ١٥٤/٦] وفى عيون الأثر [٨٤/١] دون نسبة . [انظر الشعر فى سيرة ابن هشام توثيق ودراسة صـ ٤٦١ – رسالة ماجستير مخطوطة للباحث شيحى موسى] .

(٣) انظر السيرة النبوية لابن هشام [٣٧٦/٢] والبداية والنهاية لابن كثير [٥٣/٥ – ٥٥] وتفسير ابن كثير [٣٦٩/١ ، ٣٧٠] .

به البشارة وأنه نبى آخر غيره ، وعلموا هم والمؤمنون به من قومهم أنهم ركبوا متن المكابرة وامتطوا غارب البهت[1] .

— **الخامس** : أن كثيراً منهم صرح لخاصته وبطانته بأنه هو هو بعينه ، وأنه عازم على عداوته ما بقى ، كما تقدم .

— **السادس** : أن إخبار النبى ﷺ بأنه مذكور فى كتبهم هو فرد من أفراد إخباراته بما عندهم فى كتبهم من شأن أنبيائهم وقومهم وما جرى لهم وقصص الأنبياء المتقدمين وأممهم وشأن المبدأ والمعاد وغير ذلك مما أخبرت به الأنبياء ، وكل ذلك مما يعلمون صدقه فيه ومطابقته لما عندهم ، وتلك الإخبارات أكثر من أن تحصى ، ولم يكذبوه يوماً واحداً فى شىء منها ، وكانوا أحرص الناس[2] على أن يظفروا منه بكذبة واحدة أو غلطة أو سهو فينادون بها عليه ويجدون بها السبيل إلى تنفير الناس عنه ، فلم يقل أحد منهم يوماً من الدهر أنه أخبر بكذا وكذا فى كتبنا وهو كاذب فيه بل كانوا يصدقونه فى ذلك وهم مصرون على عدم اتباعه ، وهذا من أعظم الأدلة على صدقه فيما أخبر به لو لم يعلم إلا بمجرد خبره .

— **السابع** : أنه أخبر بهذا لأعدائه من المشركين الذين لا كتاب عندهم ، وأخبر به لأعدائه من أهل الكتاب وأخبر به لأتباعه ، فلو كان هذا باطلاً لا صحة له ، لكان ذلك تسليطاً للمشركين أن يسألوا أهل الكتاب فينكرون ذلك وتسليطاً لأهل الكتاب على الإنكار وتسليطاً لأتباعه على الرجوع عنه والتكذيب له بعد تصديقه ، وذلك ينقض الغرض المقصود بإخباره من كل وجه ، وهو بمنزلة رجل يخبر بما يشهد بكذبه ويجعل إخباره دليلاً على صدقه ، وهذا لا يصدر من عاقل ولا مجنون . فهذه الوجوه يعلم بها صدق ما أخبر به وإن لم يعلم وجوده من غير جهة إخباره ، فكيف وقد علم وجود ما أخبر به ؟

— **الثامن** : أنه لو قدر أنهم لم يعلموا بشارة الأنبياء به وإخبارهم بنعته وصفته لم يلزم أن لا يكونوا ذكروه وأخبروا به وبشروا بنبوته ؟ إذ ليس كل ما قاله الأنبياء المتقدمون وصل إلى المتأخرين وأحاطوا به علماً وهذا مما يعلم بالاضطرار ، فكم من قول قد قاله موسى وعيسى ولا علم لليهود والنصارى به ، فإذا أخبر به من قام الدليل القطعى على صدقه لم يكن جهلهم به موجباً لرده وتكذيبه .

— **التاسع** : أنه يمكن أن يكون فى نسخ غير هذه النسخ التى بأيديهم فأزيل من بعضها ونسخت هذه مما أزيل منه .

---

(١) الغاربُ : أعلى كل شىء . وغوارب الماء : أعالى موجه .

(٢) فى المخطوطة «أحرص شىء» والأصح ما أثبتناه .

وقولهم : « إن نسخ التوراة متفقة فى شرق الأرض وغربها » كذب ظاهر ، فهذه التوراة بأيدى النصارى تخالف التوراة التى بأيدى اليهود ، والتى بأيدى السامرة تخالف هذه وهذه ، وهذه نسخ الإنجيل يخالف بعضها بعضاً ويناقضه[1] ، فدعواهم أن نسخ التوراة والإنجيل متفقة شرقاً وغرباً من البهت والكذب الذى يروجونه على أشباه الأنعام ، وإن هذه التوراة التى بأيدى اليهود فيها من الزيادة والتحريف والنقصان ما لا يخفى على الراسخين فى العلم ، وهم يعلمون قطعاً أن ذلك ليس فى التوراة التى أنزلها الله على موسى ، وكيف يكون فى التوراة قصة موت موسى ودفنه فى أرض موآب[2] ؟ وكيف يكون فى الإنجيل الذى أنزل على المسيح « قصة صلبه » وما جرى له ، وأنه أصابه كذا وكذا ، وصلب يوم كذا وكذا ، وأنه قام من القبر بعد ثلاث ، وغير ذلك مما هو من كلام شيوخ النصارى ، وغايته أن يكون من كلام الحواريين خلطوه بالإنجيل وسموا الجميع إنجيلاً ؛ وكذلك كانت الأناجيل عندهم أربعة يخالف بعضها بعضاً .

ومن بهتهم وكذبهم قولهم : إن التوراة التى بأيديهم وأيدى اليهود والسامرة سواء ، والنصارى لا يقرون أن الإنجيل منزل من عند الله على المسيح وأنه كلام الله ؛ بل كل فرقهم مجمعون على أنها أربعة تواريخ ألفها أربعة رجال معروفون فى أزمان مختلفة ولا يعرفون عن الإنجيل غير هذا .

إنجيل ألّفه (مَتَّى)[3] تلميذ المسيح بعد تسع سنين من رفع المسيح وكتب بالعبرانية فى

---

(١) أخذ النصارى دينهم عن أربعة : اثنان منهم بزعمهم من الحواريين يوحنا ومتى ، واثنان من المستجيبة وهما مرقس ولوقا ، وهؤلاء لا يؤمن عليهم الغلط ولا النسيان ولا تعمد الكذب ولا التواطؤ على الأمور والاصطلاح على اقتسام الرياسة وتسليم كل واحد منهم لصاحبه حصته التى اشترطها ولذا اختلفت رواياتهم فى الأناجيل وفى نفس المسيح وتضادت معانى كتبهم وشرائعهم . والسبب الرئيسى هو يوحنا وعلماء المسيحية أنكروا أن يكون هو يوحنا الحوارى بقول استاولن على إنجيل يوحنا : « إنه تصنيف طالب بمدرسة الإسكندرية » .. وليس اليهود فى كتبهم بأحسن حالاً من النصارى فالاختلاف واضح فيما بين أيديهم من العهد القديم ما بين العبرانية واليونانية والسامرية ، وقد أورد المرحوم رحمت الله الهندى فى كتابه إظهار الحق ستة وعشرين اختلافا كما أثبت الاختلافات التى حققها ليكرك بين التوراة العبرانية والسامرية وهى ستون اختلافاً . [انظر إظهار الحق ٢/٩٧ - ١١٣] .

(٢) موت موسى فى أرض موآب جاء فى سفر التثنية ٣٤ : ١ - ٨ .

(٣) متى وكان يدعى أيضا لاوى بن حلفا ، كان من قانا الجليل ، وهو أحد الرسل الاثنى عشر ، وكان من جباة الضرائب للدولة الرومانية ، لما عزم على ترك اليهودية طلب منه اليهود أن يكتب لهم الإنجيل فكتبه لهم باللغة الأورشليمية العبرية الآرامية ، توفى سنة ٧٠ م ببلاد الحبشة نتيجة ضرب جنود الملك له ضرباً مبرحاً ، وقيل : إنه طعن برمح فى سنة ٦٢ م . [انظر تاريخ الأمة القبطية ٢/٥٢ ، والخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة ١/٥١ - ٥٢] .

بلد يهود بالشام ، وإنجيل ألفه (مرقس الهارونى)[1] تلميذ شمعون[2] بعد ثلاث وعشرين سنة من رفع المسيح ، وكتبه باليونانية فى بلاد أنطاكية من بلاد الروم ، ويقولون : إن شمعون المذكور هو ألفه ثم محى اسمه من أوله ونسب إلى تلميذه مرقس ، وإنجيل ألفه (لوقا)[3] الطبيب الأنطاكى تلميذ شمعون بعد تأليف مرقس ، وإنجيل ألفه (يوحنا)[4] تلميذ المسيح بعد ما رفع المسيح ببضع وستين سنة ، كتبه باليونانية .

وكل واحد من هذه الأربعة يسمونه الإنجيل ، وبينها من التفاوت والزيادة والنقصان ما يعلمه الواقف عليها ، وبين توراة السامرة واليهود والنصارى من ذلك ما يعلمه من وقف عليها .

فدعوى الكاذب الباهت « أن نسخ التوراة والإنجيل متفقة شرقاً وغرباً بُعداً وقرباً » من أعظم الفرية والكذب ، وقد ذكر غير واحد من علماء الإسلام ما بينها من التفاوت والزيادة والنقصان والتناقض لمن أراد الوقوف عليه ، ولولا الإطالة وقصد ما هو أهم منه لذكرنا منه طرفاً كبيراً[5] .

يحرفون ويكتمون لصفات الرسول ﷺ

وقد وبخهم الله سبحانه وبكتهم على لسان رسوله بالتحريف والكتمان والإخفاء ، فقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَهْلَ الْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران : ٧١] . وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَٰتِ وَالْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ

---

(١) مرقس ، هو يوحنا الذى أشار إليه المسيح بقوله للتلميذين « اذهبا إلى المدينة فيلاقيكما إنسان حامل جرة ماء اتبعاه [مرقس ١٤ : ١٣] وقد كان من السبعين الذين اصطفاهم المسيح ، وكان رفيق برنابا ابن عمه فى أسفاره وكذلك بولس ، ثم حدثت مشاحنة بينه وبين برنابا . فافترقا عن بعضهما . ثم صحب بطرس فترة من الزمن وفى سنة ٦١ م اتجه إلى الإسكندرية ونشر فيها المسيحية ، لكن الحكومة لم تستسلم لذلك ، فهجمت عصابة على الكنيسة وقبضت عليه وعذب عذاباً شديداً حتى أسلم الروح فى سنة ٦٨ م . [انظر تاريخ الأمة القبطية ٦١/٢ - ٦٦ ، الخريدة النفيسة ٥٨/١ - ٦٤] .

(٢) المراد به بطرس ، كان اسمه الأصلى سمعان ، وكانت مهنته صيد الأسماك ، دعاه المسيح لمتابعته فآمن به ، وبعد صعود المسيح أخذ بطرس يبشر بالمسيحية فى أنطاكية وشاد فيها كنيسة على اسم العذراء ، وطاف بلاد غلاطية وآسيا الصغرى وبابل ومصر ثم اتجه إلى روما حيث أنشأ كنيسة روما الشهيرة . وقد مات على الأرجح مصلوباً منكساً فى عهد نيرون سنة ٦٧ م . [انظر الخريدة النفيسة ٣٥/١ - ٤٣] .

(٣) لوقا مولده فى أنطاكية ودرس الطب ونجح فى ممارسته ، وكان مرافقاً لبولس فى أسفاره ، ويروى أنه مات فى حكم نيرون . وقيل : إنه مات فى مدينة بتراس سنة ٧٠م . وكتب إنجيله باليونانية [تاريخ الأمة القبطية ٥٣/٢] .

(٤) ولد فى بيت صيدا من أعمال الجليل ، من أحب الحواريين إلى المسيح . كانت مهنته كمهنة بطرس ، جاهد فى سبيل نشر المسيحية والدعوة إليها ، وكانت وفاته ما بين سنة ٩٨ ، ١٠٠ م . [تاريخ الأمة القبطية ٥٣/٢] .

(٥) انظر إظهار الحق [٩٥/١ - ٣٧٢] والجواب الصحيح [٣٥٦/١ - ٣٧١ ، ٣٧٩ - ٣٨١] . والإعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام [١٨٨/٢ - ٢١٤] .

مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلعَنُهُمُ اللاَّعِنُون ﴾ [البقرة: ١٥٩] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُون مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ الكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ ، وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ ، ولاَ يُزَكِّيهِم ، وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ١٧٤] ، وقال تعالى : ﴿ يَـأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُم رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنتُم تُخْفُونَ مِنَ الكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ، قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ ، وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ ، وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة : ١٥ ــ ١٦] .

وأما « التحريف »[1] فقد أخبر سبحانه عنهم فى مواضع متعددة، وكذلك لَىّ اللسان بالكتاب ليحسبه السامع منه وما هو منه . فهذه خمسة أمور :

* **أحدها** : لبس الحق بالباطل ، وهو خلطه به بحيث لا يتميز الحق من الباطل !
* **الثانى** : كتمان الحق .
* **الثالث** : إخفاؤه وهو قريب من كتمانه .
* **الرابع** : تحريف الكلم عن مواضعه ، وهو نوعان .. تحريف لفظه وتحريف معناه .
* **الخامس** : لَىُّ اللسان به ليلبس على السامع اللفظ المنزل بغيره وهذه الأمور إنما ارتكبوها لأغراض لهم دعتهم إلى ذلك . فإذا عادوا الرسول وجحدوا نبوته وكذبوه وقاتلوه فهم إلى أن يجحدوا نعته وصفته ويكتموا ذلك ويزيلوه عن مواضعه ويتأولوه على غير تأويله أقرب بكثير ، وهكذا فعلوا ، لكن لكثرة البشارات وتنوعها غلبوا عن كتمانها وإخفائها فصاروا إلى « تحريف التأويل » وإزالة معناها عمن لا تصلح لغيره ، وجعلها لمعدوم لم يخلقه الله ولا وجود له البتة .

ــ **العاشر** : أنه استشهد على صحة نبوته بعلماء أهل الكتاب ، وقد شهد له عدولهم فلا يقدح جحد الكفرة الكاذبين المعاندين بعد ذلك ، قال تعالى : ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا بَيْنِى وَبَيْنَكُم وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الكِتَابِ ﴾ [الرعد : ٤٣] ، وقال تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِى إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ واسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِى القَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأحقاف : ١٠] ، وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِم خَاشِعِينَ للهِ لاَ يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُم عِنْدَ رَبِّهِم إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الحِسَابِ ﴾

---

(١) يقول الشيخ رحمه الله فى إظهار الحق : «التحريف قسمان لفظى ومعنوى ، ولا نزاع بيننا وبين المسيحيين فى القسم الثانى لأنهم كلهم يسلمون صدوره عن اليهود فى العهد العتيق فى تفسير الآيات ، التى هى إشارة فى زعمهم إلى المسيح . وفى تفسير الأحكام التى هى أبدية عند اليهود » [إظهار الحق ٢٦١/١] .

[آل عمران : ١٩٩] ، وقال تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُم قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ ۝ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُم تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾[المائدة : ٨٢،٨٣] ،وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ۝ وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِم قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الحَقُّ مِن رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ۝ أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ [القصص : ٥٢ ـ ٥٤] .

وإذا شهد واحد من هؤلاء لم يوزن به ملء الأرض من الكفرة ، ولا تعارض شهادته بجحود ملء الأرض من الكفار ، كيف والشاهد له من علماء أهل الكتاب أضعاف أضعاف المكذبين له منهم ؟

وليس كما قال من أشباه الحمير من عباد الصليب وأمة الغضب إنه من علمائهم ، وإذا كان أكثر عوام المسلمين يظنون أنه من علمائهم ـ وهو ليس كذلك ـ فما الظن بغيرهم .

وعلماء أهل الكتاب إن لم يدخل فيهم من لم يعمل بعلمه فليس علماؤهم إلا من آمن به وصدقه ، وإن دخل فيهم من علم ولم يعمل كعلماء السوء لم يكن إنكارهم لنبوته قادحاً فى شهادة العلماء العاملين بعلمهم .

ـ الحادى عشر : أنه لو قدر أنه لا ذكر لرسول الله ﷺ بنعته ولا صفته ولاعلامته فى الكتب التى بأيدى أهل الكتاب اليوم لم يلزم من ذلك أن لا يكون مذكوراً فى الكتب التى كانت بأيدى أسلافهم وقت مبعثه ولا تكون اتصلت على وجهها إلى هؤلاء ؛ بل حرفها أولئك وبدلوا وكتموا ، وتواصوا وكتبوا ما أرادوا ، وقالوا هذا من عند الله ، ثم اشتهرت تلك الكتب وتناقلها خلفهم عن سلفهم ، فصارت المغيَّرة المبدَّلة هى المشهورة والصحيحة بينهم خفية جداً ، ولا سبيل إلى العلم باستحالة ذلك ، بل هو فى غاية الإمكان[٢] ، فهؤلاء السامرة غيّروا مواضع من التوراة ثم اشتهرت النسخ المُغيَّرة عند جميعهم فلا يعرفون سواها وهجرت بينهم النسخ الصحيحة بالكلية ، وكذلك التوراة التى بأيدى النصارى ، وهكذا تبدل الأديان والكتب ولولا أن الله سبحانه تولى حفظ القرآن بنفسه وضمن للأمة أن لا تجتمع على ضلالة لأصابه ما أصاب الكتب قبله ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] .

---

(١) عبارة المخطوطة « وليس كل من قال من أشباه الحمير من عباد الصليب وأمة الغضب ، إنه من علمائهم ، فهو كذلك . وإذا كان أكثر من يظن عوام المسلمين أنه من علمائهم ليس كذلك فى الظن بغيرهم » .

(٢) انظر إظهار الحق لرحمت الله حيث عقد فصلاً طويلاً بعنوان « فى بيان أن أهل الكتاب لا يوجد عندهم سند متصل لكتاب من كتب العهد العتيق والجديد » فقد فسر فيه وحلل وناقش بدقة وإحكام ثم وصل فى نهاية المناقشة إلى الحق الساطع والبرهان الناصع [١/١٠٤ - ١٣٢] .

— **الثانى عشر** : أنه من الممتنع أن تخلو الكتب المتقدمة عن الإخبار بهذا الأمر العظيم الذى لم يطرق العالم من حين خلق إلى قيام الساعة أمر أعظم منه ولا شأن أكبر منه ، فإنه قلب العالم وأطبق مشارق الأرض ومغاربها ، واستمر على العالم على تعاقب القرون وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، ومثل هذا النبأ العظيم لابد أن تتطابق الرسل على الإخبار به .

وإذا كان الدجال رجل كاذب يخرج فى آخر الزمان وبقاؤه فى الأرض أربعين يوماً قد تطابقت الرسل على الإخبار به وأنذر به كل نبى قومه من نوح إلى خاتم الرسل فكيف تتطابق الكتب الإلهية من أولها إلى آخرها على السكوت عن الإخبار بهذا الأمر العظيم الذى لم يطرق العالم أمر أعظم منه ولا يطرقه أبداً .

هذا ما لا يسوغه عقل عاقل وتأباه حكمة أحكم الحاكمين ، بل الأمر بضد ذلك ، وما بعث الله سبحانه نبياً إلا أخذ عليه الميثاق بالإيمان بمحمد وتصديقه ، كما قال تعالى : ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُم لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ ، قَالَ ءَأَقْرَرْتُم وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِى قَالُوا أَقْرَرْنَا ، قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ** ﴾ [آل عمران : ٨١] ، قال ابن عباس : ما بعث الله من نبى إلا أخذ عليه الميثاق لئن بُعث محمد وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه ، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بُعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به وليبايعنه .

فصل

البشارات والنبوءات عن نبى الإسلام ﷺ عند اليهود والنصارى

فهذه الوجوه على تقدير عدم العلم بوجود نعته وصفته والخبر عنه فى الكتب المتقدمة . ونحن نذكر بعض ما ورد فيها من البشارة به ونعته وصفته وصفة أمته ، وذلك يظهر من وجوه :

الوجه الأول : قوله تعالى فى التوراة : « **سأقيم لبنى إسرائيل نبياً من إخوتهم مثلك أجعل كلامى فى فيه ويقول لهم ما آمره به والذى لا يقبل قول ذلك النبى الذى يتكلم باسمى أنا أنتقم منه ومن سبطه** »[1] .

---

(١) جاء فى التوراة ما نصه : « يقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من إخوتك مثلى له تسمعون ، حَسَب كل ما طلبت من الرب إلهك فى حوريب يوم الاجتماع قائلا : لا أعود أسمع صوت الرب إلهى ولا أرى هذه النار العظيمة أيضا لئلا أموت . قال لى الرب : قد أحسنوا فى ما تكلموا . أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به . ويكون أن الإنسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى أنا أطالبه » [تثنية ١٨ : ١٥ - ١٩] . ويعلق العلامة أحمد ديدات على البشارة قائلاً : « أعظم هذه العبارات فى هذه النبوءة هى (مثلك) مثل موسى . فهل يسوع مثل موسى . بأى كيفية شبه يسوع موسى ؟ . [انظر ماذا يقول الكتاب المقدس عن محمد ص ١٨ - ٣٣] .

فهذا النص مما لا يمكن أحداً منهم جحده وإنكاره ؛ ولكن لأهل الكتاب فيه أربعة طرق : **أحدها** : حمله على المسيح وهذه طريقة النصارى . وأما اليهود فلهم فيه ثلاث طرق : **أحدها** : أنه على حذف أداة الاستفهام ، والتقدير « أفأقيم لبنى إسرائيل نبياً من إخوتهم » أى لا أفعل هذا ، فهو استفهام إنكار حذفت منه أداة الاستفهام . **الثانى** : أنه خبر ووعد ولكن المراد به شمويل النبى[1] فإنه من بنى إسرائيل ، والبشارة إنما وقعت بنبى من إخوتهم ، وإخوة القوم هم بنو أبيهم ، وهم بنو إسرائيل . **والثالث** : أنه نبى يبعثه الله فى آخر الزمان يقيم به ملك اليهود ويعلو به شأنهم وهم ينتظرونه إلى الآن .

وقال المسلمون : البشارة صريحة فى النبى ﷺ العربى الأُمّى محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه لا يحتمل غيره . فإنها إنما وقعت بنبى من إخوة بنى إسرائيل لا من بنى إسرائيل أنفسهم ، والمسيح من بنى إسرائيل ، فلو كان المراد بها هو المسيح لقال : أقيم لهم نبياً من أنفسهم ، كما قال تعالى : ﴿ **لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ** ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، وإخوة بنى إسرائيل هم بنو إسماعيل، ولايعقل فى لغة أمة من الأمم أن بنى إسرائيل هم إخوة بنى إسرائيل ، كما أن إخوة زيد لا يدخل فيهم زيد نفسه .

وأيضاً فإنه قال : « نبياً مثلك » وهذا يدل على أنه صاحب شريعة عامة مثل موسى ، وهذا يبطل حمله على شمويل من هذا الوجه أيضاً ، ويبطل حمله على يوشع[2] من ثلاثة أوجه : **أحدها** : أنه من بنى إسرائيل لا من إخوتهم .. **الثانى** : أنه لم يكن مثل موسى ، وفى التوراة : « لا يقوم فى بنى إسرائيل مثل موسى »[3] .. **الثالث** : أن يوشع نبى فى زمن موسى ، وهذا الوعد إنما هو بنبى يقيمه الله بعد موسى . وبهذه الوجوه الثلاثة يبطل حمله على هٰرون ، مع أن هٰرون توفى قبل موسى ، ونبأه الله مع موسى فى حياته ، ويبطل ذلك من وجه رابع أيضاً وهو أن فى هذه البشارة أنه ينزل عليه كتاباً يظهر للناس من فيه وهذا لم يكن لأحد بعد موسى غير النبى ﷺ ، وهذا من علامات نبوته التى أخبرت بها الأنبياء المتقدمون ، قال تعالى : ﴿ **وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ ۝ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ۝ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ۝ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الأَوَّلِينَ ۝ أَوَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ** ﴾ [الشعراء : ١٩٢ ـ ١٩٧] ، فالقرآن نزل على قلب رسول الله ﷺ وظهر للأمة من فيه ، ولا يصح حمل هذه البشارة على قلب المسيح باتفاق النصارى

---

(١) شمويل هو صموئيل الذى طلب منه بنو إسرائيل ملكا يقاتلون معه فى سبيل الله . وقصته مفصلة فى سورة البقرة ، الآيات ٢٤٦ – ٢٥٢ . وفى سفر صموئيل الأول ، من الإصحاح الثامن إلى الإصحاح الثامن عشر .

(٢) يوشع بن نون من أنبياء بنى إسرائيل ، دعا بنى إسرائيل وأخبرهم أن الله قد أمره أن يقاتل الجبارين ، فقاتلهم يوم الجمعة قتالا شديداً حتى غربت الشمس فدعا الله تعالى فردت عليهم فهزمهم [تاريخ الطبرى ١/٢٢٧] .

(٣) نص التوراة : «ولم يَقُم بَعْدُ نبيٌّ فى إسرائيل مثل موسى الذى عرفه الرب وجها لوجه ..» [تثنية ٣٤ : ١٠] .

لأنها إنما جاءت بواحد من إخوة بنى إسرائيل ، وبنو إسرائيل وإخوتهم كلهم عبيد ليس فيهم إله ، والمسيح عندهم إله معبود ، وهو أجل عندهم من أن يكون من إخوة العبيد ، والبشارة وقعت بعبد مخلوق يقيمه الله من جملة عبيده وإخوتهم ، وغايته أن يكون نبياً لا غاية له فوقها وهذا ليس هو المسيح عند النصارى .

وأما قول المحرفين لكلام الله : إن ذلك على حذف ألف الاستفهام وهو استفهام إنكار والمعنى لا أقيم لبنى إسرائيل . فتلك عادة لهم معروفة فى تحريف كلام الله عن مواضعه والكذب على الله ، وقولهم لما يبدلونه ويحرفونه ﴿ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ ﴾ [البقرة : ٧٩] .

وحمل هذا الكلام على الاستفهام والإنكار غاية ما يكون من التحريف والتبديل ، وهذا التحريف والتبديل من معجزات النبى ﷺ التى أخبر بها عن الله من تحريفهم وتبديلهم ، فأظهر الله صدقه فى ذلك لكل ذى لب وعقل ، فازداد إيماناً إلى إيمانه ، وازداد الكافرون رجساً إلى رجسهم .

الوجه الثانى : قال فى التوراة فى السِّفر الخامس : « أقبل الله من سيناء ، وتجلى من ساعير ، وظهر من جبال فاران ، ومعه ربوات الأطهار عن يمينه » ، وهذه متضمنة للنبوات الثلاثة : نبوة موسى ، ونبوة عيسى ، ونبوة محمد ﷺ ، فمجيئه من « سينا » وهو الجبل الذى كلم الله عليه موسى ونبأه عليه إخبار عن نبوته ، وتجليه من ساعير هو مظهر المسيح من بيت المقدس ، و « ساعير » قرية معروفة هناك إلى اليوم ، وهذه بشارة بنبوة المسيح . و « فاران » هى مكة ، وشَبَّه سبحانه نبوة موسى بمجىء الصباح ، ونبوة المسيح بعدها بإشراقه وضيائه ، ونبوة خاتم الأنبياء بعدهما باستعلاء الشمس وظهور ضوءها فى الآفاق ، ووقع الأمر كما أخبر به سواء ، فإن الله سبحانه صدع بنبوة موسى ليل الكفر فأضاء فجره بنبوته ، وزاد الضياء والإشراق بنبوة المسيح ، وكمل الضياء واستعلن وطبق الأرض بنبوة محمد ﷺ[1] .

وذكر هذه النبوات الثلاثة التى اشتملت عليها هذه البشارة نظير ذكرها فى أول سورة ﴿ وَالتِّينِ والزَّيْتُونِ * وَطُورِ سِينِينَ * وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ ﴾ [التين : ١ ـ ٣] فذكر أمكنة

---

(١) يقول الأستاذ محمد عزت الطهطاوى معلقا على هذه البشارة بعد ما أورد النص السابق مع بعض الإختلاف عما ذكرنا : « هذه وصية صدرت من سيدنا موسى عن الله تعالى حين وفاة سيدنا موسى وهى آخر وصاياه فلذا أخبرهم بالرسولين المعظمين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ، وأوصاهم بأن شريعة الله جاءت من سيناء بواسطته وستشرق عليهم بواسطة عيسى من ساعير فلم يبق إلا أن يستعلن من جبل فاران والمراد مكة . ومعه ألوف الأطهار ورمز به إلى سيدنا محمد خاتم الأنبياء ومعه تلك الألوف من الصحابة والأطهار .. ومعنى « بيده سنة من نار » هى شريعة الإسلام لأن فيها وعداً ووعيداً وحرباً .. وقد فسرها علماء المتأخرين فى النسخ الحديثة شريعة . وقد اختلقت طبعة بيروت إضافة على الفقرة السابقة لم تكن موجودة فى الطبعات القديمة وهى « وأتى من ربوات القدس » بعد أن حذف منها « ومعه ألوف الأطهار » . [انظر محمد نبى الإسلام فى التوراة والإنجيل والقرآن صـ ٩] .

هؤلاء الأنبياء وأرضهم التى خرجوا منها ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونَ ﴾ والمراد بهما منبتهما وأرضهما وهى الأرض المقدسة التى هى مظهر المسيح ، ﴿ وَطُورِ سِينِينَ ﴾ الجبل الذى كلم الله عليه موسى فهو مظهر نبوته ، و ﴿ وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ ﴾ مكة حرم الله وأمنه التى هى مظهر نبوة محمد صلوات الله وسلامه عليهم .

فهذه الثلاثة نظير تلك الثلاثة سواء قالت اليهود : « فاران » هى أرض الشام وليست أرض الحجاز أم لم تقل . وليس هذا ببدع من بهتهم وتحريفهم فعندهم فى التوراة أن إسماعيل لما فارق أباه سكن فى برية فاران . هكذا نطقت التوراة ، ولفظها : « وأقام إسماعيل فى برية فاران ، وأنكحته أمه امرأة من أرض مصر »[1].

ولا يشك علماء أهل الكتاب أن فاران مسكن لآل إسماعيل ، فقد تضمنت التوراة نبوة تنزل بأرض فاران ، وتضمنت نبوة تنزل على عظيم من ولد إسماعيل ، وتضمنت انتشار أمته وأتباعه حتى يملأوا السهل والجبل كما سنذكره إن شاء الله تعالى ، ولم يبق بعد هذا شبهة أصلاً فى أن هذه هى نبوة محمد ﷺ التى نزلت بفاران على أشرف ولد إسماعيل حتى ملأت الأرض ضياء ونوراً وملأ أتباعه السهل والجبل ، ولا يكثر على الشعب الذى نطقت التوراة بأنهم عادمو الرأى والفطانة أن ينقسموا إلى جاهل بذلك وجاحد مكابر معاند ، ولفظ التوراة فيهم : « إنهم لشعب عادم الرأى ، وليس فيهم فطانة »[2]، ويقال لهؤلاء المكابرين : أى نبوة خرجت من الشام فاستعلت استعلاء ضياء الشمس ، وظهرت فوق ظهور النبوتين قبلها ؟! وهل هذا إلا بمنزلة مكابرة من يرى الشمس قد طلعت من المشرق فيغالط ويكابر ويقول بل طلعت من المغرب !!

الوجه الثالث : قال فى التوراة فى السِّفر الأول : « إن المَلَك ظهر لهاجر أم إسماعيل ، فقال : يا هاجر من أين أقبلت ؟ وإلى أين تريدين ؟ » فلما شرحت له الحال قال : ارجعى فإنى سأكثر ذريتك وزرعك حتى لا يحصون كثرة ، وها أنت تحبلين وتلدين ابناً اسمه إسماعيل لأن الله قد سمع تذللك وخضوعك وولدك يكون وحش الناس وتكون يده على الكل ويد الكل مبسوطة إليه بالخضوع »[3]، وهذه بشارة تضمنت أن يد ابنها على يد كل الخلائق ، وأن كلمته العليا ، وأن أيدى الخلق تحت يده ، فمن هذا الذى ينطبق عليه هذا الوصف سوى محمد بن عبد الله ﷺ ؟! وكذلك فى السِّفر الأول من التوراة : « أن الله قال لإبراهيم :

---

(١) نص التوراة : « وسكن فى البرية وكان ينمو رامى قوس وسكن فى برية فاران . وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر » . [التكوين ٢١ : ٢٠ ، ٢١] .

(٢) تثنية ٣٢ : ٢٨ .

(٣) تكوين ١٦ : ٧ - ١٢ .

إنى جاعل ابنك إسماعيل لأمة عظيمة إذ هو من زرعك »[1]، وهذه بشارة بمن جعل من ولده لأمة عظيمة ، وليس هو سوى محمد بن عبد الله الذى هو من صميم ولده ، فإنه جعل لأمة عظيمة ، ومن تدبر هذه البشارة جزم بأن المراد بها رسول الله ﷺ لأن إسماعيل لم تكن يده فوق يد إسحاق قط ، وكانت يد إسحاق مبسوطة إليه بالخضوع ، وكيف يكون ذلك وقد كانت النبوة والمُلك فى إسرائيل وعيسو ، وهما ابنا إسحاق ، فلما بعث رسول الله ﷺ وانتقلت النبوة إلى ولد إسماعيل ودانت له الأمم وخضعت له الملوك وجعل خلافة الملك إلى أهل بيته إلى آخر الدهر وصارت أيديهم فوق أيدى الجميع مبسوطة إليهم بالخضوع .

وكذلك فى التوراة فى السِّفر الأول : « أن الله تعالى قال لإبراهيم : إن فى هذا العام يولد لك ولد اسمه إسحاق ، فقال إبراهيم : ليت إسماعيل هذا يحيى بين يديك يمجدك ، فقال الله تعالى : قد استجبت لك فى إسماعيل وإنى أباركه وأنميه وأعظمه جداً جداً بما قد استجبت فيه ، وإنى أصيره إلى أمة كثيرة ، وأعطيه شعباً جليلاً »[2].

والمراد بهذا كله الخارج من نسله ، فإنه هو الذى عظمه الله جداً جداً وصيره إلى أمة كثيرة وأعطاه شعباً جليلاً ، ولم يأت من صلب إسماعيل من بورك وعظم وانطبقت عليه هذه العلامات غير رسول الله ﷺ ، فأمته ملأوا الآفاق وأربوا فى الكثرة على نسل إسحاق .

الوجه الرابع : قال فى التوراة فى السِّفر الخامس : « قال موسى لبنى إسرائيل : لا تطيعوا العرافين ولا المنجمين ، فسيقيم لكم الرب نبياً من إخوتكم مثلى ، فأطيعوا ذلك النبى »[3] ولا يجوز أن يكون هذا النبى الموعود به من أنفس بنى إسرائيل لما تقدم أن إخوة القوم ليسوا أنفسهم ، كما يقول : بكر وتغلب ابنا وائل ، ثم يقول : تغلب إخوة بكر وبنو بكر إخوة بنى تغلب ، فلو قلت : إخوة بنى بكر بنو بكر كان محالاً ، ولو قلت لرجل : آتنى برجل من إخوة بنى بكر بن وائل لكان الواجب أن يأتيك برجل من بنى تغلب بن وائل لا بواحد من بنى بكر .

عيسى يبشر بنبى الحمد ﷺ

الوجه الخامس : ما فى الإنجيل : « أن المسيح قال للحواريين : إنى ذاهب وسيأتيكم الفارقليط روح الحق ، لا يتكلم من قبل نفسه ، إنما هو كما يقال له ، وهو يشهد علىَّ وأنتم

---

(١) نص التوراة : «وابن الجارية أيضا سأجعله أمة لأنه نسلك» [تكوين ٢١ : ١٣] . وصحة الترجمة - كما يقول الأستاذ محمد الطهطاوى - « سأجعله أمة لأن نسلك هو » كما ورد فى حاشية الكاثوليك .

(٢) نص التوراة : «وقال إبراهيم لله : ليت إسماعيل يعيش أمامك . فقال الله : بل سارة امرأتك تلد لك ابنا وتدعو اسمه إسحق . وأقيم عهدى معه عهداً أبدياً لنسله من بعده . وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه . ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيراً جداً . اثنى عشر رئيساً يلد وأجعله أمة كبيرة» . [تكوين ١٧ : ١٨ - ٢٠/ .

(٣) التثنية . [١٨ : ١٤، ١٥] .

تشهدون لأنكم معى من قبل الناس ، وكل شيء أعده الله لكم يخبركم به » .

وفى إنجيل يوحنا : « الفارقليط لا يجيئكم ما لم أذهب ، وإذا جاء وَبَّخَ العالم على الخطيئة ، ولا يقول من تلقاء نفسه ولكنه مما يسمع به ، ويكلمكم ويسوسكم بالحق ، ويخبركم بالحوادث والغيوب » .

وفى موضع آخر : « إن الفارقليط روح الحق الذى يرسله أبى باسمى ، هو يعلمكم كل شيء » .

وفى موضع آخر : « إنى سائل له أن يبعث إليكم فارقليطاً آخر يكون معكم إلى الأبد ، وهو يعلمكم كل شيء » .

وفى موضع آخر : « ابن البشر ذاهب والفارقليط من بعده يجيء لكم بالأسرار ويفسر لكم كل شيء ، وهو يشهد لى كما شهدت له ، فإنى أجيئكم بالأمثال وهو يأتيكم بالتأويل »[1] .

قال أبو محمد بن قتيبة : وهذه الأشياء على اختلافها متقاربة ، وإنما اختلفت لأن من نقلها عن المسيح عليه السلام فى الإنجيل من الحواريين عدة ، و « الفارقليط » بلغتهم لفظ من ألفاظ الحمد ، إما أحمد أو محمد أو محمود أو حامد أو نحو ذلك ، وهو فى الإنجيل الحبشى « بر نعطيس » .

وفى موضع آخر : « إن كنتم تحبونى فاحفظوا وصايای ، وأنا أطلب من الأب أن يعطيكم فارقليطاً آخر يثبت معكم إلى الأبد ويتكلم بروح الحق الذى لم يطق العالم أن يقبلوه لأنهم لم يعرفوه ولست أدعكم أيتاماً إنى سآتيكم عن قريب » .

وفى موضع آخر : « ومن يحبنى يحفظ كلمتى وأبى يحبه وإليه يأتى وعنده يتحد المنزل ،

---

(١) هذه النقول كلها وردت فى إنجيل يوحنا بلفظ آخر هو : «إن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى . وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزّياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد ، روح الحق الذى لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه . وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم .. الذى لا يحبنى لا يحفظ كلامى . والكلام الذى تسمعونه ليس لى بل للآب الذى أرسلنى . بهذا كلمتكم وأنا عندكم . وأما المعزى الروح القدس الذى سيرسله الآب باسمى فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم .. لا أتكلم أيضا معكم كثيرا لأن رئيس هذا العالم يأتى وليس له فىَّ شيء . ولكن ليفهم العالم أنى أحب الآب وكما أوصانى الآب هكذا أفعل .. ومتى جاء المعزى الذى سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذى من عند الآب ينبثق فهو يشهد لى . وتشهدون أنتم أيضا لأنكم معى من الابتداء .. لكنى أقول لكم الحق إنه خير لكم أن أنطلق لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزى . ولكن إن ذهبت أرسله إليكم . ومتى جاء ذاك يبكت العالم على خطيَّة وعلى بر وعلى دينونة . أمّا على خطية فلأنهم لا يؤمنون بى . وأما على بر فلأنى ذاهب إلى أبى ولا ترونى أيضا . وأما على دينونة فلأن رئيس هذا العالم قد دينَ . إن لى أموراً كثيرة أيضا لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن . وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية . ذاك يمجدنى لأنه يأخذ مما لى ويخبركم . كل ما للآب هو لى لهذا قلت إنه يأخذ مما لى ويخبركم» [يوحنا ١٤ : ١٥ - ١٧ ، ١٤ : ٢٥ - ٢٦ ، ١٤ : ٣١ - ١٥ : ٢٦ : ١٦ - ٧ - ١٥]

كلمتكم بهذا لأنى لست عندكم مقيماً ، والفارقليط روح الحق الذى يرسله أبى هو يعلمكم كل شىء ، وهو يذكركم كل ما قلته لكم ، استودعتكم سلامى ، لا تقلق قلوبكم ولا تجزع فإنى منطلق وعائد إليكم ، لو كنتم تحبونى كنتم تفرحون ، فإن ثبت كلامى فيكم كان لكم كل ما تريدون » .

وفى موضع آخر : « إذا جاء الفارقليط الذى أبى يرسله روح الحق الذى من أبى يشهد لى ، قلت لكم حتى إذا كان تؤمنون ولا تشكون فيه » .

وفى موضع آخر : « إن لى كلاماً كثيراً أريد أن أقوله لكم ولكنكم لا تستطيعون عمله ، لكن إذا جاء روح الحق ذاك يرشدكم إلى جميع الحق ، لأنه ليس ينطق من عنده بل يتكلم بما يسمع ، ويخبركم بكل ما يأتى ويعرفكم جميع ما للأب » .

وقال يوحنا : قال المسيح : « إن أركون العالم سيأتى وليس له فى شىء »[1] .

قال متى : قال المسيح : « ألم تروا أن الحجر الذى أخره البناؤون صار أسًّا للزاوية من عند الله ، كان هذا وهو عجيب فى أعيننا ، ومن أجل ذلك أقول لكم إن ملكوت الله سيأخذ منكم ويدفع إلى أمة أخرى تعطى ثماره ، ومن سقط على هذا الحجر ينشدخ ، وكل من سقط هو عليه يمحقه »[2].

وقد اختلفت فى « الفارقليط » فى لغتهم فذكروا فيه أقوالاً ترجع إلى ثلاثة :

أحدها : أنه الحامد والحماد أو الحمد كما تقدم ، ورجحت طائفة هذا القول ، وقال الذى يقوم عليه البرهان فى لغتهم : أنه الحمد . والدليل عليه قول يوشع : « من عمل حسنة يكون له فارقليط جيد » أى حمد جيد .

والقول الثانى : وعليه أكثر النصارى أنه المخلص والمسيح نفسه يسمونه المخلص ، قالوا : وهذه كلمة سريانية ومعناها المخلص ، قالوا : وهو بالسريانية فاروق فجعل (فارق) ، قالوا : و (ليط) كلمة تزاد ، ومعناها كمعنى قول العرب : رجل هو ، وحجر هو ، وفرس هو . قالوا : فكذلك معنى (ليط) فى السريانية .

وقالت طائفة أخرى من النصارى : معناه بالسريانية « **المُعَزِّى** »[3]، قالوا : وكذلك هو

---

(١) النقول السابقة أثبتنا معظمها فى الهامش قبل السابق ، وهى تختلف معها اختلافاً يسيراً يرجع إلى اختلاف الترجمات للإنجيل .

(٢) متى [٢١ : ٤٢ : ٤٤] . وانظر بداية القصة أو المثل الذى ضربه المسيح [٢١ : ٣٣ -] وانظر كذلك تفسير هذا المثل وتحليله فى « محمد نبى الإسلام فى التوراة والإنجيل والقرآن » للأستاذ محمد عزت الطهطاوى [ص ٢٢ - ٢٤] .

(٣) كلمة المعزى الواردة فى التراجم الحديثة ليست دقيقة لأن أصلها باليونانية بايركلتيوس وهى اللغة التى ترجمت منها هذه الأناجيل ، وفى التراجم العربية المطبوعة سنة ١٨٢١ ، سنة ١٨٣١ ، سنة ١٨٤٤ فى لندن تجدها « **فارقليط** » وهى أقرب إلى العبارة اليونانية المشار إليها ، أما لماذا ترجمت فى **الطبعات** الحديثة إلى المعزى فلا ندرى ؟! وأقرب ما يقال إنه تحريف فى الكلام

فى اللسان اليونانى . ويعترض على هذين القولين بأن المسيح لم يكن لغته سريانية ولا يونانية بل عبرانية ، وأجيب عن هذا بأنه يتكلم بالعبرانية ، والإنجيل إنما نزل باللغة العبرانية وترجم عنه بلغة السريانية والرومية واليونانية وغيرهما ، وأكثر النصارى على أنه المخلص ، والمسيح نفسه يسمونه المخلص ، وفى الإنجيل الذى بأيديهم أنه قال : « إنما أتيت لأخلص العالم » والنصارى يقولون فى صلاتهم : « لقد ولدت لنا مخلصاً » .

تحريف النصارى للبشارة و الرد عليهم

ولما لم يمكن النصارى إنكار هذه النصوص حرفوها أنواعاً من التحريف ، فمنهم من قال : هو روح نزلت على الحواريين[1] ، ومنهم من قال : هو ألسن نارية نزلت من السماء على التلاميذ ففعلوا بها الآيات والعجائب[2]، ومنهم من يزعم أنه المسيح نفسه لكونه جاء بعد الصلب بأربعين يوماً وكونه قام من قبره ، ومنهم من قال : لا يعرف ما المراد بهذا الفارقليط ولا يتحقق لنا معناه .

ومن تأمل ألفاظ الإنجيل وسياقها علم أن تفسيره بالروح باطل ، وأبطل منه تفسيره بالألسن النارية ، وأبطل منهما تفسيره بالمسيح ، فإن روح القدس ما زالت تنزل على الأنبياء والصالحين[3] قبل المسيح وبعده وليست موصوفة بهذه الصفات وقد قال تعالى : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا

المقدس . وأيا كان ما حدث فإن الترجمة القديمة تدل على محمد ﷺ أما كلمة - المعزى الحديثة فإنها تعنى المعين والوكيل ، أليس من خواص محمد ﷺ الوكالة والشفاعة ؟؟ . ويلاحظ أن هناك جملة ساقطة قبل الجملة الواردة فى العدد ٢٦ من هذا الإصحاح سقطت من الطبعات الحديثة لكنها واردة صراحة فى الطبعات القديمة للإنجيل . ونص هذه الجملة : «فلو قد جاء المنحمنا الذى يرسله الله إليكم» ومعنى المنحمنا الحرق باللغة السريانية محمد لذلك كان المعنى حسب الآتى «فلو قد جاء محمد الذى يرسله الله إليكم» . لمزيد من التفصيل فى هذه المسألة انظر : إظهار الحق [٢٧٨/٢ وما بعدها] ومحمد نبى الإسلام [ص ٣١ - ٣٩] والنصيحة الإيمانية [ص ١٣٩ - ١٤١] وتحفة الأريب [ص ١٣٦] والجواب الصحيح [٦/٤ - وما بعدها] . والسيرة النبوية لابن هشام [١٤٤/١] .

(١) بعد أن حرف النصارى الترجمة القديمة إلى كلمة المعزى فى التراجم الحديثة أضافوا إليها روح القدس لكى تنصرف البشارة لا إلى النبى محمد ﷺ لكن لتؤول إلى الروح النازل يوم الدار على تلاميذ عيسى عليه السلام . وهو المشار إليه فى سفر أعمال الرسل . [أعمال ٢ : ١ - ٤] . والنصارى يلجئون إلى هذا التحريف والتأويل لصرف البشارة عن محمد ﷺ . وقد دحض الشيخ رحمت الله الهندى هذا الادعاء دحضاً فى كتابه إظهار الحق [٢٨٢/٢ - وما بعدها] .

(٢) انظر التعليق السابق .

(٣) يقول الأستاذ محمد مجدى مرجان (كان نصرانيا فأسلم) فى كتابه «الله واحد أم ثالوث» : «وهنا نجد لفظ الروح القدس مرادفا للفظ القوة ، فالروح القدس هى القوة التى أيد الله بها السيد المسيح من لدنه تعالى ، وبهذه القوة استطاع المسيح عيسى صنع المعجزات وشفاء الأمراض ، وهذه القوة العلوية التى تسمى الروح القدس ليست قوة مادية منظورة وليست إلهاً قائماً بذاته ، وإنما هى قوة روحية قدسية من لدن الله القدوس .. من هذا نعلم أن روح الله القدس هى القوة التى يؤيد الله بها أنبياءه وأولياءه لنشر العدل ومحاربة الضلال .. إن روح الله ، روح القدس ، ليست هى الله ، وليست أقنوماً أو جزءاً أو عنصرا فى الله وإنما هى قوة من خلق الله ، ونفحة من قواه وقبس من نور ضياه ، ينعم بها على المؤمنين والصالحين» [ص ١١٩ - ١٢١ ، ١٢٤] .

يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَومِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُم أَوْ إِخْوَانَهُم أَوْ عَشِيرَتَهُم أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ ﴾[المجادلة : ٢٢] ، وقال النبى ﷺ لحسَّان بن ثابت لما كان يهجو المشركين : « **اللهم أيِّده بروح القدس** »(١) ، وقال : « **إن روح القدس معك ما زلت تنافح عن نبيه** »(٢) ، وإذا كان كذلك ولم يُسَمِّ أحد هذه الروح فارقليطاً علم أن الفارقليط أمر غير هذا .

وأيضاً فمثل هذه الروح لا زالت يؤيد بها الأنبياء والصالحون وما بشر به المسيح ووعد به أمر عظيم يأتى بعده أعظم من هذا .

وأيضاً فإنه وصف الفارقليط بصفات لا تناسب هذا الروح وإنما تناسب رجلاً يأتى بعده نظيراً له ، فإنه قال : « إن كنتم تحبونى فاحفظوا وصايای وأنا أطلب من الأب أن يعطيكم فارقليطاً آخر يثبت معكم إلى الأبد » ، فقوله : « فارقليطاً آخر » دل على أنه ثان لأول كان قبله ، وأنه لم يكن معهم فى حياة المسيح وإنما يكون بعد ذهابه وتوليه عنهم .

وأيضاً فإنه قال : « يثبت معكم إلى الأبد » وهذا إنما يكون لما يدوم ويبقى معهم إلى آخر الدهر ومعلوم أنه لم يرد بقاء ذاته فعلم أنه بقاء شرعه وأمره ، والفارقليط الأول لم يثبت معهم شرعه ودينه إلى الأبد ، وهذا يبين أن الثانى صاحب شرع لا ينسخ بل يبقى إلى الأبد بخلاف الأول ، وهذا إنما ينطبق على محمد ﷺ .

وأيضاً فإنه أخبر أن هذا الفارقليط الذى أخبر به ويشهد له ويعلمهم كل شىء وإنه يذكر لهم كل ما قال المسيح وأنه يوبخ العالم على خطيئته فقال : « والفارقليط الذى يرسله أبى هو يعلمكم كل شىء وهو يذكركم كل ما قلت لكم » ، وقال : « إذا جاء الفارقليط الذى أبى يرسله هو يشهد أنى قلت لكم هذا حتى إذا كان تؤمنون به ، ولا تشكوا فيه » ، وقال : « إن خيراً لكم أن أنطلق إلى أبى ، إن لم أذهب لم يأتكم الفارقليط ، فإذا انطلقت **أرسلته** إليكم ، فهو يوبخ العالم على الخطيئة ، فإن لى كلاماً كثيراً أريد أن أقول لكم ولكنكم لا تستطيعون حمله لكن إذا جاء روح الحق ذاك الذى يرشدكم إلى جميع الحق ، لأنه ليس ينطق من عند نفسه بل يتكلم بما يسمع ويخبركم بكل ما يأتى ويعرفكم جميع ما للأب » .

فهذه الصفات والنعوت التى تلقوها عن المسيح لا تنطبق على أمر معنوى فى قلب بعض الناس لا يراه أحد ولا يسمع كلامه ، وإنما تنطبق على من يراه الناس ويسمعون كلامه ، فيشهد للمسيح ، ويعلمهم كل شىء ، ويذكرهم بكل ما قال لهم المسيح ، ويوبخ العالم على

---

(١) صحيح . البخارى فى الصلاة . باب الشعر فى المسجد [١/٦٥٢] وفى الأدب . باب هجاء المشركين [١٠/٥٦٢] ومسلم فى فضائل الصحابة . باب فضائل حسان بن ثابت [١٥١ ، ١٥٢] .

(٢) صحيح . مسلم فى فضائل الصحابة . باب فضائل حسان .. [١٥٧] . وتنافح أى تدافع وتناضل .

الخطيئة ، ويرشد الناس إلى جميع الحق ، ولا ينطق من عنده بل يتكلم بما يسمع ، ويخبرهم بكل ما يأتى ، ويعرفهم جميع ما لرب العالمين . وهذا لا يكون ملكاً لا يراه أحد ولا يكون هدى وعلماً فى قلب بعض الناس . ولا يكون إلا إنساناً عظيم القدر يخاطب بما أخبر به المسيح ، وهذا لا يكون إلا بشراً رسولاً ، بل يكون أعظم من المسيح ، فإن المسيح أخبر أنه يقدر على ما لا يقدر عليه المسيح ، ويعلم ما لا يعلمه المسيح ، ويخبر بكل ما يأتى وبما يستحقه الرب حيث قال : « إن لى كلاماً كثيراً أريد أن أقوله ولكنكم لا تستطيعون حمله ، ولكن إذا جاء روح الحق ذاك الذى يرشدكم إلى جميع الحق ، لأنه ليس ينطق من عنده بل يتكلم بما يسمع ويخبركم بكل ما يأتى ، ويعرفكم جميع ما للأب » .

فلا يستريب عاقل أن هذه الصفات لا تنطبق إلا على محمد ﷺ ، وذلك لأن الإخبار عن الله بما هو متصف به من الصفات وعن ملائكته وعن ملكوته وعما أعده فى الجنة لأوليائه وفى النار لأعدائه أمر لا تحتمل عقول أكثر الناس معرفته على التفصيل ، قال على رضى الله عنه : « حدثوا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون ، أتريدون أن يكذب الله ورسوله » ، وقال ابن مسعود : « ما من رجل يحدث قوماً بحديث لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة لبعضهم » ، وسأل رجل ابن عباس عن قوله تعالى : ﴿ **الَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ** ﴾ [الطلاق : ١٢] ، قال : ما يؤمنك أن لو أخبرتك بها لكفرت . يعنى لو أخبرتك بتفسيرها لكفرت بها ، وكفرك بها تكذيب بها[1] .

فقال لهم المسيح : « إن لى كلاماً كثيراً أريد أن أقوله لكم ولكنكم لا تستطيعون حمله » وهو الصادق المصدوق فى هذا ، ولهذا ليس فى الإنجيل من صفات الله تعالى وصفات ملكوته وصفات اليوم الآخر إلا أمور مجملة ، وكذلك التوراة ليس فيها من ذكر اليوم الآخر إلا أمور مجملة ، مع أن موسى عليه السلام كان قد سهل الأمر للمسيح ، ومع هذا فقد قال لهم المسيح : « إن لى كلاماً كثيراً أريد أن أقوله لكم ولكنكم لا تستطيعون حمله » .

ثم قال : « ولكن إذا جاء روح الحق فذاك الذى يرشدكم إلى جميع الحق ، وإنه يخبركم بكل ما يأتى ، وبجميع ما للرب » ، فدل هذا على أن « الفارقليط » هو الذى يفعل هذا دون المسيح ، وكذلك كان ، فإن محمداً ﷺ أرشد الناس إلى جميع الحق حتى أكمل الله به الدين وأتم به النعمة ؛ ولهذا كان خاتم الأنبياء فإنه لم يبق نبى يأتى بعده غيره ؛ وأخبر محمد ﷺ بكل ما يأتى من أشراط الساعة والقيامة والحساب والصراط ووزن الأعمال ، والجنة وأنواع نعيمها ، والنار وأنواع عذابها ، ولهذا كان فى القرآن تفصيل أمر الآخرة وذكر الجنة والنار وما يأتى أمور كثيرة لا توجد لا فى التوراة ولا فى الإنجيل ، وذلك تصديق قول المسيح أنه

---

(١) انظر تفسير ابن كثير [٤/٣٨٥] .

يخبر بكل ما يأتى ، وذلك يتضمن صدق المسيح وصدق محمد ﷺ .

وهذا معنى قوله تعالى : ﴿ **إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ يَسْتَكْبِرُونَ* وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ * بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ** ﴾ [الصافات : ٣٥ – ٣٧] ، أى مجيئه تصديق للرسل قبله ، فإنهم أخبروا بمجيئه فجاء كما أخبروا به ، فتضمن مجيئه تصديقهم ، ثم شهد هو بصدقهم فصدقهم بقوله ومجيئه ، ومحمد ﷺ بعثه الله بين يدى الساعة كما قال : « **بُعثت أنا والساعة كهاتين** » وأشار بإصبعيه السبابة والوسطى[1] . وكان إذا ذكر الساعة علا صوته واحمر وجهه واشتد غضبه ، وقال : « **أنا النذير العريان** »[2] ، فأخبر من الأمور التى تأتى فى المستقبل بما لم يأت به نبى من الأنبياء كما نعته به المسيح حيث قال : « إنه يخبركم بكل ما يأتى » ولا يوجد مثل هذا أصلاً عن أحد من الأنبياء قبل محمد ﷺ فضلاً عن أن يوجد شىء نزل على قلب بعض الحواريين .

وأيضاً فإنه قال : « ويعرفكم جميع ما للرب » فبين أنه يعرف الناس جميع ما لله ، وذلك يتناول ما لله من الأسماء والصفات وما له من الحقوق وما يجب من الإيمان به وملائكته ورسله بحيث يكون ما يأتى به جامعاً لما يستحقه الرب ، وهذا لم يأت به أحد قبل محمد ﷺ فإنه تضمن ما جاء به من الكتاب والحكمة .. هذا كله .

وأيضاً ، فإن المسيح قال : « إذا جاء الفارقليط الذى يرسله ابى فهو يشهد لى ، قلت لكم هذا حتى إذا كان تؤمنوا به » فأخبر أنه شهد له ، وهذه صفة نبى بشر به المسيح ويشهد للمسيح ، كما قال تعالى : ﴿ **وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ** ﴾ [الصف : ٦] .

وأخبر أنه يوبخ العالم على الخطيئة وهذا يستحيل حمله على معنى يقوم بقلب الحواريين فإنهم آمنوا به وشهدوا له قبل ذهابه فكيف يقول إذا جاء فإنه يشهد لى ويوصيهم بالإيمان به ؟ أفترى الحواريين لم يكونوا مؤمنين بالمسيح ؟ فهذا من أعظم جهل النصارى وضلالهم .

وأيضاً فإنه لم يوجد أحد وبخ جميع العالم على الخطيئة إلا محمد ﷺ ، فإنه أنذر جميع العالم من أصناف الناس ووبخهم على الخطيئة من الكفر والفسوق والعصيان ولم يقتصر على مجرد الأمر والنهى بل وبخهم وقرّعهم وتهددهم .. وأيضاً فإنه أخبر أنه « ليس ينطق من عنده بل يتكلم بكل ما يسمع » . وهذا إخبار بأن كل ما يتكلم به فهو وحى يسمعه ليس هو

---

(١) صحيح . البخارى فى الطلاق . باب اللعان [٩/٣٤٨] وفى الرقاق . باب قوله : « بعثت أنا والساعة ... » [١١/٣٥٥] ومسلم فى الفتن . باب قرب الساعة [١٣٢ – ١٣٥] وفى الجمعة . باب تخفيف الصلاة والخطبة [٤٣ ، ٤٤] .

(٢) صحيح . البخارى فى الرقاق . باب الانتهاء عن المعاصى [١١/٣٢٢ ، ٣٢٣] وفى الاعتصام . باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ [١٣/٢٦٤] ومسلم فى الفضائل . باب شفقته ﷺ على أمته .. [١٦] .

شيئاً تعلمه من الناس ، أو عرفه باستنباط ، وهذه خاصة محمد ﷺ ، وأما المسيح فكان عنده علم بما جاء به موسى قبله يشاركه به أهل الكتاب تلقاه عمن قبله ، ثم جاءه وحى خاص من الله فوق ما كان عنده ، قال تعالى : ﴿ **وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ والْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ** ﴾ [آل عمران : ٤٨] ، فأخبر سبحانه أنه يعلمه التوراة التى تعلمها بنو إسرائيل ؛ وزاده تعليم الإنجيل الذى اختص به ؛ والكتاب الذى هو الكتابة[1] ، ومحمد ﷺ لم يكن يعلم قبل الوحى شيئاً البتة ، كما قال تعالى : ﴿ **وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِى مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ** ﴾ [الشورى : ٤٢] ، وقال تعالى : ﴿ **نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ القَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيكَ هَذَا القُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الغَافِلِينَ** ﴾ [يوسف : ٣] ، فلم يكن ﷺ ينطق من تلقاء نفسه بل إنما كان ينطق بالوحى كما قال تعالى : ﴿ **وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ۝ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْىٌ يُوحَى** ﴾ [النجم : ٣ ، ٤] ، أى ما نُطْقُه إلا وحى

وهذا مطابق لقول المسيح أنه : « لا يتكلم من تلقاء نفسه بل إنما يتكلم بما يوحى إليه » ، الله تعالى أمره أن يبلغ ما أنزل إليه ، وضمن له العصمة فى تبليغ رسالاته ، فلهذا أرشد الناس إلى جميع الحق وألقى للناس ما لم يمكن غيره من الأنبياء ألقاه خوفاً أن يقتله قومه ، وقد أخبر المسيح بأنه لم يذكر لهم جميع ما عنده ، وأنهم لا يطيقون حمله وهم معترفون بأنه كان يخاف منهم إذا أخبرهم بحقائق الأمور ، ومحمد ﷺ أيده الله سبحانه تأييداً لم يؤيده لغيره ؛ فعصمه من الناس حتى لم يخف من شىء يقوله ، وأعطاه من البيان والعلم ما لم يؤته غيره ، وأيد أمته تأييداً أطاقت به حمل ما ألقاه إليهم ، فلم يكونوا كأهل التوراة الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها ، ولا كأهل الإنجيل الذين قال لهم المسيح : « إن لى كلاماً كثيراً أريد أن أقوله لكم ولكن لا تستطيعون حمله » .. ولا ريب أن أمة محمد ﷺ أكمل عقولاً وأعظم إيماناً وأتم تصديقاً وجهاداً ؛ ولهذا كانت علومهم وأعمالهم القلبية وإيمانهم أعظم ، وكانت العبادات البدنية لغيرهم أعظم .. وأيضاً فإنه أخبر عن الفارقليط أنه سيشهد له ، وأنه يعلمهم كل شىء ، وأنه يذكرهم كل ما قال المسيح ، ومعلوم أن هذه الشهادة لا تكون إلا إذا شهد له شهادة يسمعها الناس لا تكون هذه الشهادة فى قلب طائفة قليلة ، ولم يشهد أحد للمسيح شهادة سمعها عامة الناس إلا محمد ﷺ ، فإنه أظهر أمر المسيح وشهد له بالحق حتى سمع شهادته له عامة أهل الأرض ، وعلموا أنه صدق المسيح ونزهه عما افترته عليه اليهود وما غلت فيه النصارى ، فهو الذى شهد له بالحق . ولهذا لما سمع

(١) يقول ابن عطيه فى تفسيره المحرر الوجيز : «والكتاب هو الخط باليد ، فهو مصدر كتب يكتب ، هذا قول ابن جريج وجماعة من المفسرين . وقال بعضهم : هى إشارة إلى كتاب منزل لم يعين ، وهذه دعوة لا حجة عليها . وأما الحكمة فهى السنة التى يتكلم بها الأنبياء فى الشرعيات والمواعظ ونحو ذلك مما لم يُوحَ إليهم فى كتاب ولا بملك ؛ لكنهم يلهمون إليه وتقوى غرائزهم عليه ؛ وقد عبر بعض العلماء عن الحكم بأنها الإصابة فى القول والعمل .. [انظر المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسى ٢/٤٢٦ ، ٤٢٧] .

النجاشى من الصحابة ما شهد به محمد ﷺ للمسيح قال لهم : « ما زاد عيسى على ما قلتم هذا العود » وجعل الله أمة محمد ﷺ ﴿ شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ [البقرة : ١٤٣] شهدوا عليهم بما علموا من الحق ، إذ كانوا وسطاً عدولاً لا يشهدون بباطل ، فإن الشاهد لا يكون إلا عدلاً ؛ بخلاف من جار فى شهادته فزاد على الحق أو نقص منه كشهادة اليهود والنصارى فى المسيح .

وأيضاً فإن معنى الفارقليط إن كان هو الحامد أو الحماد أو المحمود أو الحمد ، فهذا الوصف ظاهر فى محمد ﷺ ، فإنه وأمته الحمَّادون الذين يحمدون الله على كل حال ، وهو صاحب لواء الحمد ، والحمد مفتاح خطبته ومفتاح صلاته ، ولما كان حَمَّاداً سمى بمثل وصفه فهو محمد على وزن : مكرم ومعظم ومقدس ، وهو الذى يحمد أكثر مما يحمد غيره ويستحق ذلك ، فلما كان حماداً لله كان محمداً ، وفى شعر حسان :

أَغَرُّ عليه للنبوة خاتَمٌ ... من الله ميمونٌ يُلوحُ ويشْهَدُ
وَضمَّ الإلُه اسمَ النبى إلى اسْمِهِ ... إذَا قالَ فى الخمسِ المُؤذِّنُ أشْهَدُ
وشَقَّ له مِنَ اسْمِه لِيُجِلّه ... فَذُو العرش محمودٌ وهذا محمَّدُ

وأما « أحمد » فهو أفعل التفضيل ، إذْ هو أحمد من غيره أى أحق بأن يكون محموداً أكثر من غيره ، يقال : هذا أحمد من هذا ، أى هذا أحق بأن يحمد من هذا ، فيكون فيه تفضيل له على غيره فى كونه محموداً .

فلفظ « محمد » يقتضى زيادة فى الكمية ، ولفظ « أحمد » يقتضى زيادة فى الكيفية .

ومن الناس من يقول : معناه أنه أكثر حمداً لله من غيره ، وعلى هذا فيكون بمعنى الحامد والحماد ، وعلى الأول بمعنى المحمود .

وإذا كان الفارقليط بمعنى الحمد فهو تسمية بالمصدر مبالغة فى كثرة الحمد ، كما يقال : رجل عدل ورضى ونظائر ذلك ، وبهذا يظهر سر ما أخبر به القرآن عن المسيح من قوله : ﴿ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنْ بَعْدِى اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ [الصف : ٦] ، فإن هذا هو معنى الفارقليط كما تقدم[1] ، وفى التوراة ما ترجمته بالعربية : « وأما فى إسماعيل فقد قبلت دعاءك ها أنا قد باركت فيه وأثمره وأكبره بماد ماد » هكذا هذه اللفظة « بماد ماد » ، وقد اختلف فيها علماء أهل الكتاب فطائفة يقولون : معناها (جداً جداً) أى (كثيراً كثيراً) فإن كان هذا معناها فهو بشارة بمن عظم من بنيه كثيراً كثيراً ، ومعلوم أنه لم يعظم من بنيه أكثر مما عظم من محمد ﷺ .

وقالت طائفة أخرى : بل هى صريح اسم (محمد) ، قالوا : ويدل عليه أن ألفاظ العبرانية

---

(١) انظر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية حيث ينقل عنه المؤلف نقلاً حرفياً مع بعض الاختلافات اليسيرة وسيلاحظ القارىء أن أغلب البشارات التى سيوردها [٤/١٦٠٦] ابن القيم منقولة عن ابن تيمية فى الكتاب السالف .

قريبة من ألفاظ العربية فهى أقرب اللغات إلى العربية ، فإنهم يقولون لإسماعيل شماعيل وسمعتك شمعتنى ، وأياه أوثوا ، وقدسك قدشيخا ، وأنت أنا ، وإسرائيل سيرائيل ، فتأمل قوله فى التوارة : « قدس لى خل بخور خل ريخم بنى إسرائيل باذام وبيما لى » ، معناه : « قدس لى كل بكر كل أول مولود رحم فى بنى إسرائيل من إنسان إلى بهيمة لى »[1] ، وتأمل قوله : « نابى أقيم لاهيم تقارب أخيهم كانوا أخا إيلاؤه شماعون » فإن معناه : « نبياً أقيم لهم من وسط إخوتهم مثلك به يؤمنون »[2] ، وكذلك قوله : « أنتم عابرتم بعيولى إجيخيم بنوا عيصاه » ، معناه : « أنتم عابرون فى تخم إخوتكم بنى العيص »[3] .

ونظائر ذلك أكثر من أن تذكر ، فإذا أخذت لفظة « بماد ماد » وجدتها أقرب شىء إلى لفظه محمد ، وإذا أردت تحقيق ذلك فطابق بين ألفاظ العبرانية والعربية ، وكذلك يقولون : « أصبوع أو لوهم هوم » ، أى : « أصبع الله كتب له بها التوراة » ، ويدل على ذلك أداة الباء فى قوله : « بماد ماد » ، ولا يقال أعظمه بجداً جداً ، بخلاف أعظمه بمحمد . وكذلك هو فإنه عظم به وازداد به شرفاً إلى شرفه ؛ بل تعظيمه ؛ بمحمد ابنه ﷺ فوق تعظيم كل والد بولده العظيم القدر ، فالله سبحانه كبره بمحمد ﷺ .

وعلى التقديرين فالنص من أظهر البشارات به ، أما على هذا التفسير فظاهر جداً ، وأما على التفسير الأول فإنما كبر إسماعيل وعظم على إسحاق جداً جداً بابنه محمد ﷺ . فإذا طابقت بين معنى « الفارقليط » ومعنى « بمود مود » ـ التى تكتب بماد ماد ـ ومعنى « محمد ، وأحمد » ونظرت إلى خصال الحمد التى فيه وتسمية أمته بالحمادين وافتتاح كتابه بالحمد وافتتاح الصلاة بالحمد وختم الركعة بالحمد وكثرة خصال الحمد التى فيه وفى أمته وفى دينه وفى كتابه وعرفت ما خلص به العالم من أنواع الشرك والكفر والخطايا والبدع والقول على الله بلا علم وما أعز الله به الحق وأهله وقمع به الباطل وحزبه تيقنت أنه الفارقليط بالاعتبارات كلها .

فمن هذا الذى هو « روح الحق الذى لا يتكلم إلا بما يوحى إليه » ؟! ومن هو العاقب للمسيح والشاهد لما جاء به والمصدق له بمجيئه ؟! ومن الذى أخبرنا بالحوادث فى الأزمنة المستقبلة كخروج الدجال وظهور الدابة وطلوع الشمس من مغربها وخروج يأجوج ومأجوج ونزول المسيح ابن مريم وظهور النار التى تحشر الناس وأضعاف أضعاف ذلك من الغيوب

---

(١) النص : « وكلم الرب موسى قائلاً : قدّس لى كل بكر كلّ فاتح رحم من بنى إسرائيل من الناس ومن البهائم . إنه لى » [الخروج ١٣ : ١ ، ٢] .

(٢) [تثنية ١٨ : ١٥ ، ١٨] .

(٣) النص : « أنتم مارُّون بتُخم إخوتكم بنى عيسو الساكنين فى سعير » . [تثنية ٢ : ٤] .

التى قبل يوم القيامة والغيوب الواقعة من الصراط والميزان والحساب وأخذ الكتب بالأيمان والشمايل وتفاصيل ما فى الجنة والنار ما لم يذكر فى التوراة والإنجيل غير محمد ﷺ ؟!

ومن الذى وبخ العالم على الخطايا سواه ؟! ومن الذى عرّف الأمة ما ينبغى لله حق التعريف غيره ؟! ومن الذى تكلم فى هذا الباب بما لم يطق أكثر العالم أن يقبلوه غيره حتى عجزت عنه عقول كثير ممن صدقه وآمن به فساموه أنواع التحريف والتأويل لعجز عقولهم عن حمله كما قال أخوه المسيح صلوات الله عليهما وسلامه ؟! ومن الذى أرسل إلى جميع الخلق بالحق قولاً وعملاً واعتقاداً فى معرفة الله وأسمائه وصفاته وأحكامه وأفعاله وقضائه وقدره وغيره ؟! ومن هو « أركون العالم » الذى أتى بعد المسيح غيره ؟ و « أركون العالم » هو عظيم العالم وكبير العالم وتأمل قول المسيح فى هذه البشارة التى لا ينكرونها : « إن أركون العالم سيأتى وليس لى من الأمر شىء » كيف ؟ وهى شاهدة بنبوة المسيح ونبوة محمد معاً فإنه لما جاء صار الأمر له دون المسيح . فوجب على العالم كلهم طاعته والانقياد لأمره وصار الأمر له حقيقة[1] .

ولم يبق بأيدى النصارى إلا دين باطله أضعاف أضعاف حقه ، وحقه منسوخ بما بعث الله به محمداً ﷺ ، فطابق قول المسيح قول أخيه محمد ﷺ : « **ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً وإماماً مقسطاً فيحكم بكتاب ربكم** »[2] ، وقوله فى اللفظ الآخر : « **يأتيكم بكتاب ربكم** » فطابق قول الرسولين الكريمين وبشر الأول بالثانى وصدّق الثانى بالأول .

وتأمل قوله فى البشارة الأخرى : « **ألم تر إلى الحجر الذى أخره البناؤون صار أسًّا للزاوية ؟** » كيف تجده مطابقاً لقول النبى ﷺ : « **ومثل الأنبياء قبلى كمثل رجل بنى داراً فأكملها وأتمها إلا موضع لبنة منها ، فجعل الناس يطوفون بها ويعجبون منها ، ويقولون : هلاَّ وضعت تلك اللبنة ؟ فكنت أنا تلك اللبنة** »[3] .

وتأمل قول المسيح فى هذه البشارة : « إن ذلك عجيب فى أعيننا » وتأمل قوله فيها : « إن ملكوت الله سيأخذ منكم ويدفع إلى أمة أخرى » كيف تجده مطابقاً لقوله تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ الصَّالِحُونَ** ﴾ [الأنبياء : ١٠٥] ، وقوله تعالى : ﴿ **وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِى الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُم دِينَهُم الَّذِى ارْتَضَى لَهُم ، وَلَيُبَدِّلَنَّهُم**

---

(١) فهم المؤلف أن أركون العالم هو محمد ﷺ وليس الأمر كما فهم ، فأركون العالم هو الشيطان . انظر تعليقا لنا على هذه القضية فى بداية الكتاب . وانظر الجواب الصحيح [٤/١٧] .

(٢) سيأتى تخريجه .

(٣) صحيح . البخارى فى المناقب . باب خاتم النبيين [٦ ٦٤٥] ومسلم فى الفضائل . باب ذكر كونه خاتم النبيين [٢٠ - ٢٣] .

مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِم أَمْنًا ، يَعْبُدُونَنِى لاَ يُشْرِكُونَ بِى شَيْئًا ، وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ ﴾ [النور : ٥٥] ، وتأمل قوله فى الفارقليط المبشر به : « يفشى لكم الأسرار ، ويفسر لكم كل شىء ، فإنى أجيئكم بالأمثال وهو يأتيكم بالتأويل » وكيف تجده مطابقاً للواقع من كل وجه ولقوله تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَىْءٍ ﴾ [النحل : ٨٩] ، ولقوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [يوسف : ١١١] .

وإذا تأملت التوراة والإنجيل والكتب وتأملت القرآن وجدته كالتفصيل لمجملها والتأويل لأمثالها والشرح لرموزها ، وهذا حقيقة قول المسيح : « أجيئكم بالأمثال ويجيئكم بالتأويل ، ويفسر لكم كل شىء » ، وإذا تأملت قوله : « وكل شىء عده الله لكم به » وتفاصيل ما أخبر به من الجنة والنار والثواب والعقاب تيقنت صدق الرسولين الكريمين ، ومطابقة الأخبار المفصلة من محمد ﷺ للخبر المجمل من أخيه المسيح .

وتأمل قوله فى الفارقليط : « وهو يشهد لى كما شهدت له » كيف تجده منطبقاً على محمد ابن عبد الله ، وكيف تجده شاهداً بصدق الرسولين ، وكيف تجده صريحاً فى رجل يأتى بعد المسيح يشهد له بأنه عبد الله ورسوله كما شهد له المسيح ؟! فقد أذِن المسيح بنبوة محمد صلوات الله وسلامه عليهما أذاناً لم يؤذنه نبى قبله ، وأعلن بتكبير ربه أنى تكون له صاحبة أو ولد ؟ ثم رفع صوته بشهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إلهاً واحداً أحداً فرداً صمداً لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، ثم أعلن بشهادة أن محمداً عبده ورسوله الشاهد له بنبوته المؤيد بروح الحق الذى لا يقول من تلقاء نفسه بل يتكلم بما يوحى إليه ويعلمهم كل شىء ويخبرهم ما أعد الله لهم ، ثم رفع صوته بحى على الفلاح باتباعه والإيمان به وتصديقه وأنه ليس له من الأمر معه شىء ، وختم التأذين بأن ملكوت الله سيؤخذ ممن كذبه ويدفع إلى أتباعه والمؤمنين به ، فهلك من هلك عن بينة وعاش من عاش عن بينة فاستجاب أتباع المسيح حقاً لهذا التأذين ، وأباه الكافرون والجاحدون ، فقال تعالى : ﴿ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ، وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ ، ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُم فَأَحكُمُ بَينَكُم فِيمَا كُنتُم فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [آل عمران : ٥٥] .

وهذه بشارة بأن المسلمين لا يزالون فوق النصارى إلى يوم القيامة فإن المسلمين هم أتباع المرسلين فى الحقيقة وأتباع جميع الأنبياء لا أعداؤه ، وأعداؤه عباد الصليب الذين رضوا أن يكون إلهاً مصفوعاً مصلوباً مقتولاً ولم يرضوا أن يكون نبياً عبداً لله وجيهاً عنده مقرباً لديه ، فهؤلاء أعداؤه حقاً والمسلمون أتباعه حقاً .

والمقصود أن بشارة المسيح بالنبى ﷺ فوق كل بشارة لما كان أقرب الأنبياء إليه وأولاهم به وليس بينه وبينه نبى .

فصل : وتأمل قول المسيح : « إن أركون العالم سيأتى » وأركون العالم هو سيد العالم وعظيمه . ومن الذى ساد العالم وأطاعه العالم بعد المسيح غير النبى ﷺ ؟! وتأمل قول النبى ﷺ وقد سُئل : ما أول أمرك ؟ قال : « **أنا دعوة أبى إبراهيم ، وبشرى عيسى** »[1] .

وطابق بين هذا وبين هذه البشارات التى ذكرها المسيح ، فمن الذى ساد العالم باطناً وظاهراً وانقادت له القلوب والأجساد وأطيع فى السر والعلانية فى محياه وبعد مماته فى جميع الأعصار ، وأفضل الأقاليم والأمصار ، وسارت دعوته مسير الشمس ، وبلغ دينه ما بلغ الليل والنهار ، وخرّت لمجيئه الأمم على الأذقان ، وبطلت به عبادة الأوثان ، وقامت به دعوة الرحمن ، واضمحلت به دعوة الشيطان ، وأذل الكافرين والجاحدين ، وأعز المؤمنين وجاء بالحق وصدق المرسلين ، حتى أعلن بالتوحيد على رؤوس الأشهاد ، وعبد الله وحده لا شريك له فى كل حاضر وبَادٍ ، وامتلأت به الأرض تحميداً وتكبيراً لله وتهليلاً ، وتسبيحاً ، واكتست به بعد الظلم والظلام عدلاً ونوراً ؟

وطابق بين قول المسيح : « إن أركون العالم سيأتيكم » وقول أخيه محمد ﷺ : « **أنا سيد ولد آدم ولا فخر ، آدم فمن دونه تحت لوائى ، وأنا خطيب الأنبياء إذا وفدوا وإمامهم إذا اجتمعوا ومبشرهم إذا أيسوا ، لواء الحمد بيدى ، وأنا أكرم ولد آدم على ربى** »[2] .

النصارى فى خيال ، واليهود مع الدجال ، وإبليس قائد الكفر والضلال

وفى قول المسيح فى هذه البشارة : « وليس لى من الأمر شىء » إشارة إلى التوحيد وأن الأمر كله لله ، فتضمنت هذه البشارة أصلى الدين : إثبات التوحيد ، وإثبات النبوة ، وهذا الذى قاله المسيح مطابق لما جاء به أخوه محمد بن عبد الله عن ربه من قوله له : ﴿ **لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ** ﴾ [آل عمران : ١٢٨] ، فمن تأمل حال الرسولين الكريمين ودعوتهما وجدهما متوافقين متطابقين حذو القذة بالقذة ، وأنه لا يمكن التصديق بأحدهما مع التكذيب بالآخر البتة ، وأن المكذب بمحمد ﷺ أشد تكذيباً للمسيح الذى هو المسيح ابن مريم عبد الله ورسوله ؛ وإن آمن بمسيح لا حقيقة له ولا وجود وهو أبطل الباطل ، وقد قال يوحنا

(١) حسن . أحمد فى المسند [٥/٢٦٢] والحاكم فى المستدرك وصححه [٢/٦٠٠] والسلسلة الصحيحة للألبانى [١٥٤٦] .

(٢) ضعيف بهذا اللفظ ، وقد صح بألفاظ أخرى هى : « أنا سيد الناس يوم القيامة .. » و « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة .. » و « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ، وبيدى لواء الحمد ولا فخر ، وما من نبى يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائى ، وأنا أول شافع ، وأول مشفع ، ولا فخر » انظر صحيح الجامع للألبانى [١٤٦٦ - ١٤٦٨] وضعيف الجامع [١٤١٣] .

فى رسالته الأولى[1] : « أحبائى إياكم أن تؤمنوا بكل روح ، لكن ميزوا الأرواح التى من عند الله من غيرها واعلموا أن كل روح تؤمن بأن يسوع المسيح قد جاء وكان جسدانياً فهى من عند الله وكل روح لا تؤمن بأن المسيح قد جاء وكان جسدانياً فليست من عند الله بل من المسيح الكذاب الذى هو الآن فى العالم »[2].

فالمسلمون يؤمنون بالمسيح الصادق الذى جاء من عند الله بالهدى ودين الحق الذى هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول ، والنصارى إنما تؤمن بمسيح دعى إلى عبادة نفسه وأمه وأنه ثالث ثلاثة وأنه الله وابن الله ، وهذا هو أخو المسيح الكذاب لو كان له وجود ، فإن المسيح الكذاب يزعم أنه الله ، والنصارى فى الحقيقة أتباع هذا المسيح ، كما أن اليهود إنما ينتظرون خروجه ، وهم يزعمون أنهم ينتظرون النبى الذى بُشروا به ، فعوضهم الشيطان بعد مجيئه من الإيمان به انتظاراً للمسيح الدجال . وهكذا كل من أعرض عن الحق يعوض عنه بالباطل .

وأصل هذا أن إبليس لما أعرض عن السجود لآدم كِبراً أن يخضع له تعوض بذلك ذل القيادة لكل فاسق ومجرم من بنيه ، فلا بتلك النخوة ولا بهذه الحرفة ، والنصارى لما أنفوا أن يكون المسيح عبداً لله تعوضوا من هذه الأنفة بأن رضوا بجعله مصفعة اليهود ومصلوبهم الذى يسخرون منه ويهزءون به ، ثم عقدوا له تاجاً من الشوك بدل تاج الملك ، وساقوه فى حبل إلى خشبة الصلب يصفقون حوله ويرقصون . فلا بتلك الأنفة له من عبودية الله ولا بهذه النسبة له إلى أعظم الذل والضيق والقهر ، وكذلك أنفوا أن يكون للبترك والراهب زوجة أو ولد وجعلوا لله رب العالمين الولد وكذلك أنفوا أن يعبدوا الله وحده لا شريك له ويطيعوا عبده ورسوله ثم رضوا بعبادة الصليب والصور المصنوعة بالأيدى فى الحيطان وطاعة كل من يحرم عليهم ما شاء ويحلل لهم ما شاء ويشرع لهم من الدين ما شاء من تلقاء نفسه .

ونظير هذا التعويض أنفة الجهمية[3] أن يكون الله سبحانه فوق سماواته على عرشه بائناً من خلقه حتى لا يكون محصوراً بزعمهم فى جهة معينة ثم قالوا : هو فى كل مكان بذاته . فحصروه فى الآبار والسجون والأنجاس والأخباث ، وعوضوه بهذه الأمكنة عن عرشه المجيد . فليتأمل العاقل لعب الشيطان بعقول هذا الخلق ، وضحكه عليهم ، واستهزائه بهم !!

---

(١) فى المخطوطة « يوحنا فى كتاب أخبار الحواريين وهو يسمونه أفراكيس » .

(٢) انظر رسالة يوحنا الرسول الأولى [٤ : ١ - ٣] .

(٣) أتباع جهم بن صفوان الذى خرج فى حرب ضد الأمويين وقتل . وكان يقول بالإجبار ، والاضطرار إلى الأعمال . وأنكر الاستطاعات كلها . وزعم أن الجنة والنار تبيدان وتفنيان . وزعم أيضاً أن الإيمان هو المعرفة بالله تعالى فقط ، وأن الكفر هو الجهل به فقط « الفرق بين الفرق للبغدادى . دراسة وتحقيق : الأستاذ محمد عثمان الخشت ص ١٨٣ ، ١٨٧] .

تأملات فى البشارات

وقول المسيح : « إذا انطلقت أرسلته إليكم » معناه أنى أرسله بدعاء ربى وطلبى منه أن يرسله ، كما يطلب الطالب من ولى الأمر أن يرسل رسولاً أو يولى نائباً أو يعطى أحداً ، فيقول : أنا أرسلت هذا ووليته وأعطيته . يعنى أنى كنت سبباً فى ذلك ؛ فإن الله سبحانه إذا قضى أن يكون الشىء فإنه يقدر له أسباباً يكون بها ، ومن تلك الأسباب دعاء بعض عباده بأن يفعل ذلك فيكون فى ذلك من النعمة إجابة دعائه مضافاً إلى نعمته بإيجاد ما قضى كونه ، ومحمد ﷺ قد دعا به الخليل أبوه فقال : ﴿ **رَبَّنَا وابْعَثْ فِيهِم رَسُولاً منْهُم يَتْلُو عَلَيْهِم آيَاتِك ، ويُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكمَةَ ويُزَكِيهِم إنَّك انْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ** ﴾ [البقرة : ١٢٩] ، مع أن الله سبحانه قد قضى بإرساله وأعلن باسمه قبل ذلك ، كما قيل له : يا رسول الله .. متى كنت نبياً ؟ قال : « **وآدم بين الروح والجسد** » ، وقال : « **إنى عند الله لمكتوب خاتم النبيين وإن آدم لمنجدِلٌ فى طينته** »[1] .

وهذا كما قضى الله سبحانه نصره يوم بدر ، ومن أسباب ذلك استعانته بربه ودعاؤه وابتهاله بالنصر ، وكذلك ما يقضيه من إنزال الغيث قد يجعله بسبب ابتهال عباده ودعائهم وتضرعهم إليه ، وكذلك ما يقضيه من مغفرة ورحمة وهداية ونصر قد يسبب له أدعية يحصل بها ممن ينال ذلك أو من غيره ، فلا يمتنع أن يكون المسيح سأل ربه بعد صعوده أن يرسل أخاه محمداً إلى العالم ، ويكون ذلك من أسباب الرسالة المضافة إلى دعوة أبيه إبراهيم ، لكن إبراهيم سأل ربه أن يرسله فى الدنيا فلذلك ذكره الله سبحانه ، وأما المسيح فإنما سأله بعد رفعه وصعوده إلى السماء .

فصل : وتأمل قول المسيح : « إنى لست أدعكم أيتاماً لأنى سآتيكم عن قريب » كيف هو مطابق لقول أخيه محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليهما : « **ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً ، وإماماً مقسطاً ، فيقتل الخنزير ، ويكسر الصليب ، ويضع الجزية** »[2] ، وأوصى أمته بأن : « **يقرئه السلام منه من لقيه منهم** »[3] ، وفى حديث آخر : « **كيف تهلك أمة أنا فى أولها وعيسى فى آخرها** » ؟![4]

---

(١) ضعيف . أحمد فى المسند [١٢٧/٤ ، ١٢٨] والحاكم فى المستدرك [٤١٨/٢ ، ٦٠٠] وضعيف الجامع للألبانى [٢٠٩٠] .

(٢) صحيح . البخارى فى المظالم . باب كسر الصليب وقتل الخنزير .. [١٤٤/٥] وفى مواضع أخرى . ومسلم فى الإيمان . باب نزول عيسى ابن مريم [٢٤٢ ، ٢٤٣] .

(٣) صحيح . أحمد فى المسند [٣٩٤/٢] .

(٤) وتمامه « **والمهدى من أهل بيتى فى وسطها** » انظر المتقى الهندى فى كنز العمال حيث عزاه للحاكم فى تاريخه وابن عساكر فى تاريخه عن ابن عباس [٣٨٦٨٢] .

فصل : وقد تقدم نص التوراة : « تجلى الله من طور سينا ، وأشرق من ساعير ، واستعلن من جبال فاران » ، قال علماء الإسلام ـ وهذا لفظ أبى محمد بن قتيبة ـ : ليس بهذا خفاء على من تدبره ولا غموض ، لأن مجيء الله من طور سينا إنزاله التوراة على موسى من طور سينا ، كالذى هو عند أهل الكتاب وعندنا ، وكذلك يجب أن يكون إشراقه من ساعير إنزاله الإنجيل على المسيح ، وكان المسيح من ساعير أرض الخليل بقرية تدعى ناصرة ، وباسمها تسمى من اتبع نصارى ، وكما وجب أن يكون إشراقه من ساعير بالمسيح فكذلك يجب أن يكون استعلانه من جبال فاران ، وإنزاله القرآن على محمد ﷺ ، وجبال فاران هى جبال مكة .

قال : وليس بين المسلمين وأهل الكتاب خلاف فى أن فاران هى مكة ، فإن ادَّعوا أنها غير مكة ، فليس ينكر ذلك من تحريفهم وإفكهم . قلنا : أليس فى التوراة أن إبراهيم أسكن هاجر وإسماعيل فاران ؟ وقلنا : دلونا على الموضع الذى استعلن الله منه واسمه فاران ، والنبى الذى أنزل عليه كتاباً بعد المسيح ؟! أو ليس استعلن وعلن بمعنى واحد ، وهو ظهر وانكشف . فهل تعلمون ديناً ظهر ظهور دين الإسلام وفشا فى مشارق الأرض ومغاربها فشوه ؟! قال علماء الإسلام : وساعير جبال بالشام منه ظهور نبوة المسيح ، وإلى جانبه قرية بيت لحم ، القرية التى وُلد فيها المسيح قرية تسمى إلى اليوم « ساعير » ولها جبال تسمى ساعير ، وفى التوراة أن نسل العيص كانوا سكاناً بساعير ، وأمر الله موسى أن لا يؤذيهم .

قال شيخ الإسلام :[1] وعلى هذا فيكون قد ذكر الجبال الثلاثة « حراء » الذى ليس حول مكة أعلى منه ، وفيه ابتدىء رسول الله ﷺ بنزول الوحى عليه ، وحوله جبال كثيرة ، وذلك المكان يسمى فاران إلى هذا اليوم ، والبرية التى بين مكة وطور سينا تسمى برية فاران ، ولا يمكن أحداً أن يدعى أنه بعد المسيح نزل كتاب فى شىء من تلك الأرض ولا بعث نبى .

فعلم أنه ليس المراد باستعلانه من جبال فاران إلا إرسال محمد ﷺ ، وهو سبحانه ذكر هذا فى التوراة على ترتيب الزمان ، فذكر إنزال التوراة ثم الإنجيل ثم القرآن ، وهذه الكتب نور الله وهداه ، وقال فى الأول : « جاء وظهر » ، وفى الثانى : « أشرق » ، وفى الثالث : « استعلن » فكان مجيء التوراة مثل طلوع الفجر ، ونزول الإنجيل مثل إشراق الشمس ، ونزول القرآن بمنزلة ظهور الشمس فى السماء ؛ ولهذا قال : « واستعلن من جبال فاران » فإن محمداً ﷺ ظهر به نور الله وهداه فى مشرق الأرض ومغربها أعظم مما ظهر بالكتابين المتقدمين كما يظهر نور الشمس فى مشارق الأرض ومغاربها إذا استعلنت وتوسطت السماء ؛

---

(١) أستاذه ابن تيمية . تقى الدين أحمد بن شهاب الدين بن أبى البركات عبد السلام بن عبد الله بن تيمية الحرانى ثم الدمشقى وكنيته أبو العباس . ولد سنة ٦٦١ هـ فى حرَّان وأقام فى دمشق حيث أفتى ودرّس فهو فقيه حنبلى . جدَّد المذهب وأتقن القرآن والحديث والفقه والكلام وسلك على سنة الأقدمين . وله مؤلفات عديدة : مجموعة الفتاوى والرسائل ، والجواب الصحيح .. توفى سنة ٧٢٨ هـ سجيناً فى قلعة دمشق حيث كانت له أيادٍ بيضاء فى الوقوف فى وجه أمراء السوء .

ولهذا سماه الله ﴿ سِرَاجًا مُنِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٤٦] ، وسمى الشمس ﴿ سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴾ [النبأ : ١٣] ، والخلق يحتاجون إلى السراج المنير أعظم من حاجتهم إلى السراج الوهاج ؛ فإن هذا يحتاجون إليه فى وقت دون وقت ، وأما السراج المنير فيحتاجون إليه كل وقت وفى كل مكان ليلاً ونهاراً سراً وعلانية .

وقد ذكر الله تعالى هذه الأماكن الثلاثة فى قوله : ﴿ وَالتِّينِ والزيتون * وَطُورِ سينين * وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ ﴾ [التين : ١ ـ ٣] فالتين والزيتون هو فى الأرض المقدسة التى بعث منها المسيح ، وأنزل عليه فيها الإنجيل ﴿ وَطُورِ سينين ﴾ وهو الجبل الذى كلم الله عليه موسى تكليماً وناداه من واديه الأيمن من البقعة المباركة من الشجرة التى فيه ، وأقسم بـ ﴿ الْبَلَدِ الأَمِينِ ﴾ وهو مكة التى أسكن إبراهيم وإسماعيل وأمه فيه وهو فاران كما تقدم ، ولما كان ما فى التوراة خبراً عن ذلك أخبر به على الترتيب الزمانى ، فقدم الأسبق ، ثم الذى يليه ، وأما القرآن فإنه أقسم بها تعظيماً لشأنها وإظهاراً لقدرته وآياته وكتبه ورسله ، فأقسم بها على وجه التدريج درجة بعد درجة ، فبدأ بالعالى ، ثم انتقل إلى أعلا منه ، ثم أعلا منهما فإن أشرف الكتب القرآن ، ثم التوراة ، ثم الإنجيل ، وكذلك الأنبياء .

فصل : وهذا الذى ذكره ابن قتيبة وغيره من علماء المسلمين ، من تأمل التوراة وجدها ناطقة به صريحة فيه فإن فيها « وغدا إبراهيم بأخذ الغلام وأخذ خبزاً وسقاء من ماء ودفعه إلى هاجر وحمله عليها ؛ وقال لها : اذهبى ، فانطلقت هاجر ، ونفد الماء الذى كان معها ، فطرحت الغلام تحت شجرة ، وجلست مقابلته على مقدار رمية الحجر لئلا تبصر الغلام حين يموت ، ورفعت صوتها بالبكاء ، وسمع الله صوت الغلام حيث هو ، فقال لها الملك : قومى فاحملى الغلام وشدى يدك به فإنى جاعله لأمة عظيمة ، وفتح الله عينيها فبصرت ببئر ماء فسقت الغلام وملأت سقاها ، وكان الله مع الغلام فتربى وسكن فى برية فاران »[1] ، فهذا نص التوراة أن إسماعيل رُبِّى وسكن فى برية فاران بعد أن كاد يموت من العطش ، وأن الله سقاه من بئر ماء ، وقد علم بالتواتر واتفاق الأمم أن إسماعيل إنما رُبى بمكة ، وهو وأبوه إبراهيم بنيا البيت ، فعلم قطعاً أن « فاران » هى أرض مكة[2] .

فصل : ومثل هذه البشارة من كلام حبقوق[3] فيما قبلوه ورضوا ترجمته « جاء الله من جبال فاران ، وامتلأت السموات والأرض من تسبيحه وتسبيح أمته » ولم يخرج أحد من جبال فاران التى امتلأت السموات والأرض من تسبيحه وتسبيح أمته سوى محمد ﷺ ؛

---

(١) سفر التكوين ١١ : ١٤ – ٢١ .

(٢) انظر الجواب الصحيح لابن تيمية حيث ينقل منه ابن القيم تعليق العلماء على هذه البشارة [٣/٣٠٠ – ٣٠٦] .

(٣) فى المخطوطة « كلام شمعون » والنص فى سفر حبقوق . ونظراً لأن المؤلف ينقل من الجواب الصحيح لابن تيمية ، فقد جانب الأستاذ وجه الصواب أيضا والله الموفق .

فإن المسيح لم يكن بأرض فاران ألبتة ، وموسى إنما كلم من الطور ، والطور ليس من أرض فاران ، وإن كانت البرية التى بين مكة والطور تسمى برية فاران فلم ينزل الله فيها التوراة ، وبشارة التوراة قد تقدمت بجبل الطور ، وبشارة الإنجيل بجبل ساعير .

فصل : ونظير هذا مانقلوه ورضوا ترجمته فى نبوة حبقوق « جاء الله من التيمن ، وظهر القدس على جبال فاران ، وامتلأت الأرض من تحميد أحمد ، وملك بيمينه رقاب الأمم ، وأنارت الأرض لنوره ، وحملت خيله فى البحر »[1] ، قال ابن قتيبة : وزاد فيه بعض أهل الكتاب : « وستنزع فى قسيك أعراقاً ، وترتوى السهام بأمرك يا محمد ارتواء »[2] ، وهذا إفصاح باسمه وصفاته ، فإن ادعوا أنه غيره فمن أحمد هذا الذى امتلأت الأرض من تحميده ، الذى جاء من جبال فاران فملك رقاب الأمم ؟[3] .

هاجر تبشر بإسماعيل وبخاتم النبيين

الوجه السادس : قوله فى الفصل التاسع من السفر الأول من التوراة « أن هاجر لما فارقت سارة وخاطبها الملك فقال : يا هاجر من أين أقبلت ؟ وإلى أين تريدين ؟ فلما شرحت له الحال قال : ارجعى فإنى سأكثر ذريتك وزرعك حتى لا يحصون ، وها أنت تحبلين وتلدين ابناً اسمه إسماعيل ؛ لأن الله قد سمع ذُلَّك وخضوعك ، وولدك يكون وحش الناس ، يده فوق يد الجميع ، ويد الكل به ، ويكون مسكنه على تخوم جميع إخوته »[4] .

قال المستخرجون هذه البشارة : معلوم أن يد بنى إسماعيل قبل مبعث محمد ﷺ لم تكن فوق أيدى بنى إسحاق ؛ بل كان فى أيدى بنى إسحاق النبوة والكتاب ، وقد دخلوا مصر

---

(١) النص كما ورد فى الترجمة الحديثة : « الله جاء من تيمان والقدوس من جبل فاران . سلاه جلاله غطى السموات ، والأرض امتلأت من تسبيحه . وكان لمعانٌ كالنور . له من يده شعاعٌ وهناك استتار قدرته . قدامه ذهب الوباء وعند رجليه خرجت الحمى . وقف وقاس الأرض ، نظر فرجف الأمم ودكت الجبال الدهرية وخسعت آكام القدم . مسالك الأزل له . [سفر حَبَقُّوق ٣ : ٣ - ٦] .

(٢) يعلق الأستاذ محمد عزت الطهطاوى على هذه البشارة قائلاً : « والترجمة الحرفية لنص العبرى « الله جاء من تيمان والقدوس من جبل فاران سلاه جلاله غطى السموات وامتلأت الأرض من تحميد أحمد وملك بيمينه رقاب الأمم .. وإذا رجعنا إلى النسخة المطبوعة فى لندن قديما سنة ١٨٤٨ والأخرى المطبوعة فى بيروت سنة ١٨٨٤ أو النسخ القديمة قبل ذلك نرى النص كالآتى : « القدوس من جبل فاران لقد أضاءت السماء من بهاء محمد وامتلأت الأرض من حمده .. ثم قال : « وجرك فى الأنهار واحتدام صوتك فى البحار يا محمد اذن لقد رأتك الجبال فارتاعت » فإنه سمى محمدا مرتين ووصفه مقاتلة أهل الأرض وأنه من جبل فاران ووصفه بالجهاد براً وبحراً وتدويخ جميع الأمم .

[انظر محمد نبى الإسلام للأستاذ محمد الطهطاوى ص ٢٥] . وهو بذلك يؤكد ما ذهب إليه ابن قتيبة وينفى ما ذكره الأستاذ الدكتور أحمد حجازى السقا فى تعليقه على ابن قتيبة بأنه كتب على ما فهم ، لكنه ظاهر اللفظ ليس فيه « يا محمد » .

(٣) انظر الجواب الصحيح لابن تيمية [٣/ ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣٣٠] .

(٤) التكوين ٦١ : ٨ - ١٢ .

زمن يوسف مع يعقوب فلم يكن لبنى إسماعيل فوقهم يد ، ثم خرجوا منها لما بُعث موسى وكانوا مع موسى من أعز أهل الأرض ولم يكن لأحد عليهم يد ؛ ولذلك كانوا مع يشوع إلى زمن داود ، وملك سليمان الملك الذى لم يؤت أحداً مثله ، فلم يكن يد بنى إسماعيل عليهم ، ثم بعث الله المسيح فكفروا به وكذبوه فدمر عليهم تكذيبهم إياه وزال ملكهم ولم يقم لهم بعده قائمة ، وقطعهم الله فى الأرض أمماً .

وكانوا تحت حكم الروم والفرس وغيرهم[1] ، ولم يكن يد ولد إسماعيل عليهم فى هذا الحال ، ولا كانت فوق يد الجميع إلى أن بعث الله محمداً ﷺ برسالته وأكرمه الله بنبوته فصارت بمبعثه يد بنى إسماعيل فوق الجميع ، فلم يبق فى الأرض سلطان أعز من سلطانهم بحيث قهروا سلطان فارس والروم والترك والديلم ، وقهروا اليهود والنصارى والمجوس والصابئة وعباد الأصنام ، فظهر بذلك تأويل قوله فى التوراة « ويكون يده فوق يد الجميع ، ويد الكل » وهذا أمر مستمر إلى آخر الدهر .

قالت اليهود : نحن لا ننكر هذا ؛ ولكن إن هذه بشارة بملكه وظهوره وقهره لا برسالته ونبوته . **قال المسلمون** : الملك ، ملكان ، ملك ليس معه نبوة بل ملك جبار متسلط ، وملك نفسه نبوة ؛ والبشارة لم تقع بالملك الأول ؛ ولاسيما إن ادعى صاحبه النبوة والرسالة وهو كاذب مفترٍ على الله فهو من شر الخلق وأفجرهم وأكفرهم ، فهذا لا تقع البشارة بملكه وإنما يقع التحذير من فتنته كما وقع التحذير من فتنة الدجال ، بل هذا شر من سنحاريب وبخت نصر والملوك الظلمة الفجرة الذين يكذبون على الله ، فالأخبار لا تكون بشارة ، ولا تفرح به هاجر وإبراهيم ، ولا بشر أحد بذلك ، ولا يكون ذلك إثابة لها من خضوعها وذلها وأن الله قد سمع ذلك ويعظم هذا المولود ويجعله لأمة عظيمة ، وهذا عند الجاحدين بمنزلة أن يقال : إنك ستلدين جباراً ظالماً طاغياً يقهر الناس بالباطل ، ويقتل أولياء الله ، ويسبى حريمهم ، ويأخذ أموالهم بالباطل ، ويبدل أديان الأنبياء ، ويكذب على الله ، ونحو ذلك ، فمن حمل هذه البشارة على هذا فهو من أعظم الخلق بهتاناً وفرية على الله ؛ وليس هذا بمستنكر لأمة الغضب ، وقتلة الأنبياء وقوم البهت[2].

بشارات داود وانطباقها على محمد ﷺ

الوجه السابع : قول داود فى الزبور : « سبحوا الله تسبيحاً جديداً ، وليفرح إسرائيل بخالقه ، وبنو صهيون من أجل أن الله اصطفى له أمة وأعطاهم النصر ، وسدد الصالحين بالكرامة ، يسبحون على مضاجعهم ، ويكبرون الله بأصوات مرتفعة ، بأيديهم سيوف ذات

(١) فى الأصل «وقهرهم» .

(٢) انظر الجواب الصحيح [٣/٣١٣ ـ ٣١٤] .

فإن المسيح لم يكن بأرض فاران ألبتة ، وموسى إنما كلم من الطور ، والطور ليس من أرض فاران ، وإن كانت البرية التى بين مكة والطور تسمى برية فاران فلم ينزل الله فيها التوراة ، وبشارة التوراة قد تقدمت بجبل الطور ، وبشارة الإنجيل بجبل ساعير .

فصل : ونظير هذا مانقلوه ورضوا ترجمته فى نبوة حبقوق « جاء الله من التيمن ، وظهر القدس على جبال فاران ، وامتلأت الأرض من تحميد أحمد ، وملك يمينه رقاب الأمم ، وأنارت الأرض لنوره ، وحملت خيله فى البحر »[1] ، قال ابن قتيبة : وزاد فيه بعض أهل الكتاب : « وستنزع فى قسيك أعراقاً ، وترتوى السهام بأمرك يا محمد ارتواء »[2] ، وهذا إفصاح باسمه وصفاته ، فإن ادعوا أنه غيره فمن أحمد هذا الذى امتلأت الأرض من تحميده ، الذى جاء من جبال فاران فملك رقاب الأمم ؟[3] .

هاجر تبشر بإسماعيل وبخاتم النبيين

الوجه السادس : قوله فى الفصل التاسع من السفر الأول من التوراة « أن هاجر لما فارقت سارة وخاطبها الملك فقال : يا هاجر من أين أقبلت ؟ وإلى أين تريدين ؟ فلما شرحت له الحال قال : ارجعى فإنى سأكثر ذريتك وزرعك حتى لا يحصون ، وها أنت تحبلين وتلدين ابناً اسمه إسماعيل ؛ لأن الله قد سمع ذُلّك وخضوعك ، وولدك يكون وحش الناس ، يده فوق يد الجميع ، ويد الكل به ، ويكون مسكنه على تخوم جميع إخوته »[4] .

قال المستخرجون لهذه البشارة : معلوم أن يد بنى إسماعيل قبل مبعث محمد ﷺ لم تكن فوق أيدى بنى إسحاق ؛ بل كان فى أيدى بنى إسحاق النبوة والكتاب ، وقد دخلوا مصر

---

(١) النص كما ورد فى الترجمة الحديثة : « الله جاء من تيمان والقدوس من جبل فاران . سَلاَهْ جلاله غطى السموات ، والأرض امتلأت من تسبيحه . وكان لمعانٌ كالنور . له من يده شعاعٌ وهناك استتار قدرته . قدامه ذهب الوباءُ وعند رجليه خرجت الحمى . وقف وقاس الأرض ، نظر فرجف الأمم ودكت الجبال الدهرية وخسعت آكام القدم . مسالك الأزل له . [سفر حَبَقُوق ٣ : ٣ - ٦] .

(٢) يعلق الأستاذ محمد عزت الطهطاوى على هذه البشارة قائلاً : « والترجمة الحرفية للنص العبرى « الله جاء من تيمان والقدوس من جبل فاران سلاه جلاله غطى السموات وامتلأت الأرض من تحميد أحمد وملك يمينه رقاب الأمم .. وإذا رجعنا إلى النسخة المطبوعة فى لندن قديما سنة ١٨٤٨ والأخرى المطبوعة فى بيروت سنة ١٨٨٤ أو النسخ القديمة قبل ذلك نرى النص كالآتى : « القدوس من جبل فاران لقد أضاءت السماء من بهاء محمد وامتلأت الأرض من حمده .. ثم قال : « زجرك فى الأنهار واحتدام صوتك فى البحار يا محمد ادن لقد رأتك الجبال فارتاعت » فإنه سمى محمدا مرتين ووصفه لمقاتلة أهل الأرض وأنه من جبل فاران ووصفه بالجهاد براً وبحراً وتدويخ جميع الأمم .

[انظر محمد نبى الإسلام للأستاذ محمد الطهطاوى ص ٢٥] . وهو بذلك يؤكد ما ذهب إليه ابن قتيبة وينفى ما ذكره الأستاذ الدكتور أحمد حجازى السقا فى تعليقه على ابن قتيبة بأنه كتب على ما فهم ، لكنه ظاهر اللفظ ليس فيه « يا محمد » .

(٣) انظر الجواب الصحيح لابن تيمية [٣/٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣٣٠] .

(٤) التكوين ٦١ : ٨ - ١٢ .

فإن ناموسك وشرائعك مقرونة بهيبة يمينك ، وسهامك مسنونة ، والأمم يخرون تحتك »[1] .

وليس متقلد السيف بعد داود من الأنبياء سوى محمد ﷺ ، وهو الذى خرت الأمم تحته ، وقرنت شرائعه بالهيبة .. إما القبول وإما الجزية ، وإما السيف . وهذا مطابق لقوله ﷺ : « **نُصِرْتُ بالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ** »[2] وقد أخبر داود أن له ناموساً وشرائع ، وخاطبه بلفظ الجبار إشارة إلى قوته وقهره لأعداء الله ؛ بخلاف المستضعف المقهور ، وهو ﷺ نبى الرحمة ، ونبى الملحمة ، وأمته أشداء على الكفار رحماء بينهم ، أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ، بخلاف الأذلاء المقهورين المستكبرين ، الذين يذلون لأعداء الله ويتكبرون عن قبول الحق[3] .

الوجه التاسع : قول داود فى مزمور آخر : « إن الله سبحانه أظهر من صهيون إكليلاً محموداً »[4] ، وضرب الإكليل مثلاً للرياسة والإمامة ، ومحمود هو محمد ﷺ[5] ، وقال فى صفته : « ويحوز من البحر إلى البحر ، ومن لدن الأنهار إلى منقطع الأرض ، وإنه لتخر أهل الجزائر بين يديه على ركبهم ، وتلحس أعداؤه التراب ، تأتيه ملوك الفرس وتسجد له ، وتدين له الأمم بالطاعة والانقياد ، ويخلص المضطهد البائس ممن هو أقوى منه وينقذ الضعيف الذى لا ناصر له ويرأف بالمساكين والضعفاء ويصلى عليه فى كل وقت ويبارك »[6] .

ولا يشك عاقل تدبر أمور الممالك والنبوات وعرف سيرة محمد ﷺ وسيرة أمته من بعده أن هذه الأوصاف لا تنطبق إلا عليه وعلى أمته لا على المسيح ولا على نبى غيره ، فإنه حاز من البحر الرومى إلى البحر الفارسى ، ومن لدن الأنهار جيحون وسيحون والفرات إلى منقطع الأرض بالغرب ، وهذا مطابق لقوله ﷺ : « **زُوِيَتْ لى الأرض فأريت مشارقها**

---

(١) نص المزمور : « فاض قلبى بكلام صالح . متكلم أنا بإنشائى للملك . لسانى قلم كاتب ماهر . أنت أبرع جمالاً من بنى البشر . انسكبت النعمة على شفتيك لذلك باركك الله إلى الأبد . تقلد سيفك على فخذك أيها الجبار جلالك وبهاءك وجلالك أقتحم . اركب من أجل الحق والدعة والبر فتريك يمينك مخاوف . نبلك المسنونة فى قلب أعداء الملك . شعوب تحتك يسقطون » . [المزمور ٤٥ : ١ - ٥] .

(٢) صحيح . البخارى فى التيمم فى فاتحته . [٥١٨/١] وفى الصلاة . باب قوله ﷺ « جعلت لى الأرض .. [٦٣٤/١] ومسلم فى المساجد . فى فاتحته [٣ ، ٥ ، ٦ ، ٧] .

(٣) انظر الجواب الصحيح لابن تيمية [٣١٨/٣ ، ٣١٩] وإظهار الحق لرحمت الله الهندى [٢٥٧/٢ وما بعدها] .

(٤) نص المزمور : إله الآلهة تكلم ودعا الأرض من مشرق الشمس إلى مغربها من صهيون كمال الجمال الله أشرق .. [المزمور ٥٠ : ١ - ...] .

(٥) المراد أن محمودا هى صفة محمد ﷺ ، وليس المراد الاسم ، فنبوءات الزبور عن النبى بالوصف لا الاسم . [السقا] .

(٦) نص المزمور : « ويملك من البحر إلى البحر ومن النهر إلى أقاصى الأرض أمامه تجثو أهل البرية وأعداؤه يلحسون التراب . ملوك ترشيش والجزائر يرسلون تقدمة . ملوك شبا وسبأ يقدمون هدية . ويسجد له كل الملوك . كل الأمم تتعبد له لأنه ينجى الفقير المستغيث والمسكين إذ لا معين له . يشفق على المسكين والبائس ويخلص أنفس الفقراء من الظلم والخطف يفدى أنفسهم ويكرم دمهم فى عينيه . ويعيش ويعطيه من ذهب شبا ويصلى لأجله دائما . اليوم كله يباركه] . [المزمور ٧٢ : ٨ - ١٥] .

ومغاربها ، وسيبلغ مُلك أمتى ما زُوِىَ لى منها »[1] وهو الذى يصلى عليه ويبارك فى كل حين وفى كل صلاة من الصلوات الخمس وغيرها ، وهو الذى خرت أهل الجزائر بين يديه : أهل جزيرة العرب ، وأهل الجزيرة التى بين الفرات ودجلة وأهل جزيرة الأندلس ، وأهل جزيرة قبرص ، وخضعت له ملوك الفرس فلم يبق فيهم إلا من أسلم أو أدى الجزية عن يد وهم صاغرون ، بخلاف ملوك الروم فإن فيهم من لم يسلم ولم يؤد الجزية ، فلهذا ذكر فى البشارة ملوك الفرس خاصة ، ودانت له الأمم التى سمعت به وبأمته ، فهم بين مؤمن به ومسالم له ومنافق معه وخائف منه ، وأنقذ الضعفاء من الجبارين ؛ وهذا بخلاف المسيح فإنه لم يتمكن فى حياته ، ولا من اتبعه بعد رفعه إلى السماء ، ولا حازوا ما ذكر ، ولا يصلون عليه ويباركون فى اليوم والليلة ، فإن القوم يدَّعون إلا هينة ويصلون له[2] .

الوجه العاشر : قوله فى مزمور آخر : « لترتاح البوادى وقراها ولتصير أرض قيدار مروجاً ، ولتسبح سكان الكهوف ويهتفوا من قلل الجبال بحمد الرب ، ويذيعوا تسابيحه فى الجو »[3] .

فَمَن أهل البوادى من الأمم سوى أمة محمد ، ومن « قيدار » غير ولد إسماعيل أحد أجداده ﷺ ؟! ومن سكان الكهوف وقلل الجبال سوى العرب ؟! ومن هذا الذى دام ذكره إلى الأبد غيره ؟![4] .

الوجه الحادى عشر : قوله فى مزمور آخر : « إن ربنا عظم محموداً »[5] . وفى مكان آخر : « إلهنا قدوس ومحمد قد عم الأرض كلها فرحاً » ، فقد نص داود على اسم محمد وبلده وأن كلمته قد عمت الأرض .

الوجه الثانى عشر : قوله فى الزبور لداود : « سيولد لك ولد أُدعى له أباً ويُدعى لى ابناً اللهم ابعث جاعل السنة كى يعلم الناس أنه بشر »[6] .

وهذه أخبار عن المسيح ومحمد ﷺ قبل ظهورهما بزمن طويل ، يريد ابعث محمداً حتى

---

(١) صحيح . مسلم فى الفتن . باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض [١٩] .

(٢) انظر الجواب الصحيح [٣/٣٢٢ ، ٣٢٣] .

(٣) وردت هذه البشارة فى سفر إشعياء [٤٢ : ١٠ - ١٢] ولم ترد فى المزامير .

(٤) انظر الجواب الصحيح [٣/٣٢٢] .

(٥) انظر منظومة الإمام البوصيرى فى الرد على النصارى واليهود [ص ٤٣] .

(٦) منظومة الإمام البوصيرى [ص ٢٣ ، ٤٣] ويقول محقق المنظومة د . أحمد حجازى السقا : « فهم المؤلف رحمه الله أن الابن المبشر به لداود عليه السلام فى قول الله له « سيولد لك ولد .. » هو المسيح عليه السلام . وقال : إن داود قال لله : ابعث محمدا جاعل السنة » ليعلم الناس أن المسيح عيسى بشر وليس إلها ، أو ابن إله . والصحيح أن الابن المبشر به لداود هو سليمان ابنه وليس المسيح عيسى كما جاء فى سفر صموئيل الثانى [٧ : ١٢ - ١٤] وكما جاء فى سفر أخبار الأيام الأول [٢٢ : ٩ ، ١٠] وأما عبارة « اللهم ابعث جاعل السنة » أى محمد رسول الله ﷺ ففى معناها آيات كثيرة فى الزبور [ص ٥٧] .

يعلم الناس أن المسيح بشر ليس إلهاً ، وأنه ابن البشر لا ابن خالق البشر ، فبعث الله هادى الأمة وكاشف الغمة فبين للأمم حقيقة أمر المسيح وأنه عبدٌ كريم ونبى مُرسل ؛ لا كما ادعته النصارى ولا كما رمته به اليهود .

نبوة أشعياء وبشارات بخاتم الأنبياء ﷺ

الوجه الثالث عشر : قوله فى نبوة أشعياء : « قيل لى : أقم نظارا فانظر ما يرى تخبر به ، قلت : أرى راكبين مقبلين أحدهما على حمار والآخر على جمل ، يقول أحدهما لصاحبه : سقطت بابل وأصنامها للأرض »[١] .

وصاحب الحمار عندنا وعند النصارى هو المسيح ، وراكب الجمل هو محمد صلوات الله وسلامه عليهما ، وهو أشهر بركوب الجمل من المسيح بركوب الحمار ، وبمحمد ﷺ سقطت أصنام بابل لا بالمسيح ، ولم يزل فى إقليم بابل من يعبد الأوثان من عهد إبراهيم الخليل إلى أن سقطت بمحمد ﷺ[٢] .

الوجه الرابع عشر : قوله فى نبوءة أشعياء أنه قال عن مكة : « ارفعى إلى ما حولك بصرك ، فستبهجين وتفرحين من أجل أن الله تعالى يصير إليك ذخائر البحر ، وتحج إليك عساكر الأمم ، حتى تعم بك قطر الإبل المؤبلة ، وتضيق أرضك عن المقطرات التى تجتمع إليك ، وتساق إليك كباش مدين ، وتأتيك أهل سبأ وتسير إليك أغنام فاران ، وتخدمك رجل نبايوت »[٣]، يريد سدنة الكعبة وهم أولاد نبايوت بن إسماعيل .

قالوا : فهذه الصفات كلها حصلت لمكة ، فإنها حُمِلَت إليها ذخائر البحر ، وحج إليها عساكر الأمم ، وسيق إليها أغنام فاران هدايا وأضاحى وقرابين ، وضاقت الأرض عن قطرات الإبل المؤبلة الحاملة للناس وأزوادهم ، وأتاها أهل سبأ وهم أهل اليمن[٤] .

الوجه الخامس عشر : قول أشعياء فى مكة أيضاً : « وقد أقسمت بنفسى كقسمى أيام نوح إنى أغرق الأرض بالطوفان إنى لا أسخط عليك ولا أرفضك ، وإن الجبال تزول وإن التلاع تنحط ورحمتى عليك لا تزول »[٥] .

---

(١) النص فى إشعياء هكذا : « لأنه هكذا قال لى السيد : اذهب أقم الحارس ليخبر بما يرى . فرأى ركابا أزواج فرسان ركاب حمير . ركاب جمال . فأصغى إصغاءً شديداً . ثم صرخ كأسد أيها السيد أنا قائم على المرصد دائما فى النهار وأنا واقف على المحرس كل الليالى . وهو ذا ركاب من الرجال أزواج من الفرسان . فأجاب وقال : سقطت سقطت بابل وجميع تماثيل آلهتها المنحوتة كسرها إلى الأرض . [إشعياء ٢١ : ٦ - ٩] .

(٢) انظر الجواب الصحيح [٣/٣٢٣] .

(٣) سفر إشعياء ٦٠ : ٤ - ٧ .

(٤) انظر الجواب الصحيح [٣/٣٢٦] ومحمد نبى الإسلام فى التوراة والإنجيل والقرآن [ص ٢٣] .

(٥) إشعياء ٥٤ : ٩ ، ١٠ . والتلاع : جمع تلعة وهو ما ارتفع من الأرض .

ثم قال : « يا مسكينة ، يا مضطهدة ! ها أنا ذا بانٍ بالحسن حجارتك ، ومزينك بالجواهر ، ومكلل باللؤلؤ سقفك ، وبالزبرجد أبوابك ، وتبعدين من الظلم فلا تخافى ، ومن الضعف فلا تضعفى ، وكل سلاح يصنعه صانع فلا يعمل فيك ، وكل لسان ولغة تقوم معك بالخصومة تفلحين معها ، ويسميك الله اسما جديداً ـ يريد أنه سماها المسجد الحرام ـ فقومى فأشرقى فإنه قد دنا نورك ، وقار الله عليك ، انظرى بعينيك حولك ، فإنهم مجتمعون ، يأتونك بنوك وبناتك عدواً فحينئذ تسرين وتزهوين ، ويخاف عدوك ، وليتسع قلبك ، وكل غنم قيدار تجتمع إليك ، وسادات نبايوت يخدمونك » .

و « نبايوت » هم أولاد نبايوت بن إسماعيل . و « قيدار » جد النبى ﷺ ، وهو أخو نبايوت بن إسماعيل .

ثم قال : « وتفتح أبوابك بالليل والنهار لا تغلق ، ويتخذونك قبلة ، وتدعين بعد ذلك مدينة الرب »[1] .

الوجه السادس عشر : قوله أيضاً فى مكة : « سرى واهتزى أيتها العاقر التى لم تلد وانطقى بالتسبيح ، وافرحى ولم تحبلى ، فإن أهلك يكونون أكثر من أهلى » .

يعنى بأهله : بيت المقدس ، ويعنى بالعاقر : مكة ، لأنها لم تلد قبل محمد النبى ﷺ نبياً ، ولا يجوز أن يريا بالعاقر بيت المقدس لأنه **بيت الأنبياء ومعدن الوحى ، وقد ولد فيه أنبياء كثيرون**[2] .

الوجه السابع عشر : قول أشعياء أيضاً لمكة شرّفها الله : « إنى أعطى البادية كرامة لبنان وبهاء كرمل »[3]، وهما الشام وبيت المقدس ؛ يريد أجعل الكرامة التى كانت هناك بالوحى ، فى ظهور الأنبياء للبادية بالنبى ﷺ وبالحج .

ثم قال : « ويسقى البادية مياه وسواق فى الأرض الفلاة ، ويكون بالفيافى والأماكن العطاش ينابيع ومياه ، ويصير هناك محجة وطريق الحرم ، لا يمر به أنجاس الأمم ، والجاهل به لا يضل هناك ، ولا يكون بها سباع ولا أسد ، ويكون هناك ممر المخلصين »[4].

الوجه الثامن عشر : قول أشعياء أيضاً فى كتابه عن الحرم : « إن الذئب والحمل فيه يرتعان معاً »[5]، إشارة إلى أمنه الذى خاصه الله به دون بقاع الأرض ، ولذلك سماه ﴿ **الْبَلَدِ**

---

(١) إشعياء : الإصحاح الرابع والخمسون . وانظر إظهار الحق [٢/٢٦٥ - ٢٦٧] .

(٢) بالإضافة إلى ما فى الهامش السابق . انظر محمد نبى الإسلام ص ١٦ ، ١٧ . والجواب الصحيح [٣/٣٢٧] .

(١) النص : « تفرح البرية والأرض اليابسة ويبتهج القفر ويزهر كالنرجس يزهر إزهاراً ويبتهج ابتهاجاً ويرنم . يدفع إليه مجد لبنان . بهاء كرمل وشارون .. » إشعياء [٣٥ : ١] .

(٤) إشعياء الإصحاح ٣٥ . وانظر محمد نبى الإسلام [ص ٢١] .

(٥) إشعياء [٦٥ : ٢٥] .

الأمِينِ ﴾ ، وقال : ﴿ أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ [العنكبوت : ٦٧] ، وقال يعدد نعمه على أهله : ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ * إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُم مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُم مِنْ خَوْفٍ ﴾ [قريش : ١ – ٤] .

الوجه التاسع عشر : قول أشعياء أيضاً معلناً باسم رسول الله ﷺ : « إنى جعلت أمرك يا محمد بالحمد يا قدوس الرب اسمك موجود من الأبد »[١] ، فهل بقى بعد ذلك لزايغ مقال أو لطاعن مجال ؟! وقوله : « يا قدوس الرب » معناه يا من طهره الرب وخلصه واصطفاه ، وقوله : « اسمك موجود من الأبد » مطابق لقول داود فى مزمور له : « اسمك موجود قبل الشمس »[٢] .

الوجه العشرون : قول أشعياء فى ذكر الحجر الأسود ، قال : « الرب والسيد ها أنذا مؤسس بصهيون حجراً فى زاوية ركن منه ، فمن كان مؤمناً فلا يستعجلنا ، وأجعل العدل مثل الشاقول ، والصدق مثل الميزان ، فيهلك الذين ولعوا بالكذب »[٣] .

فصهيون تعادل مكة عند أهل الكتاب ، وهذا الحجر الأسود الذى يقبله الملوك فمن دونهم ، وهو مما اختص به محمد وأمته .

الوجه الحادى والعشرون : قول أشعياء فى موضع آخر : « إنه ستملأ البادية والمدن قصوراً إلى قيدار ومن رءوس الجبال ، وينادونهم الذين يجعلون لله الكرامة ويثنون بتسبيحه فى البر والبحر » .

وقال : « أرفع علماً لجميع الأب من بعيد ، فيصفر بهم من أقصى الأرض فإذا هم سراع يأتون »[٤] .

وبنو قيدار هم العرب ، لأن قيدار هو ابن إسماعيل بإجماع الناس[٥] ، والعلم الذى يرفع هو النبوة ، والصفير بهم دعاؤهم من أقاصى الأرض إلى الحج فإذا هم سراع يأتون[٦] ،

---

(١) النص : « صوتى واهتفى يا ساكنة صهيون لأن قدوس إسرائيل عظيم فى وسطك » [إشعياء ١٢ : ٦] .

(٢) نصه : « يكون اسمه إلى الدهر . قُدَّام الشمس عند اسمه ، ويتباركون به . كل أمم الأرض يطوّبونه » [المزمور ٧٢ : ١٧] وانظر الجواب الصحيح لابن تيمية [٣/٣٢٦ ، ٣٢٧] .

(٣) نصه : « لذلك هكذا يقول السيد الرب : هأنذا اؤسس فى صهيون حجراً ، حجر امتحان حجر زاوية كريما أساساً مؤسساً . من آمن لا يهرب . وأجعل الحق خيطا والعدل مطماراً فيخطف البرد ملجأ الكذب ويجرف الماء الستارة .. » [إشعياء ٢٨ : ١٦ – ١٧] ، والشاقول : عصاق رأسها زُجٌّ يستعملها الزراع فى قياس الأرض ، أو ضغط حدودها أو استقامة الخطوط ، ومثله شاقول البنائين والجمع شواقيل .

(٤) سفر إشعياء ٥ : ٢٦ .

(٥) ورد فى سفر التكوين نسب أبناء إسماعيل كما يلى : « وهذه أسماء بنى إسماعيل بأسمائهم حسب مواليدهم : نبايوت بكر إسماعيل ، وقيدار وأدبئيل ومبسام .. » [التكوين ٢٥ : ١٣] .

(٦) انظر الجواب الصحيح [٣/٣٢٧] .

وهذا مطابق لقوله عز وجل : ﴿ **وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ** ﴾ [الحج : ٢٧] .

الوجه الثانى والعشرون : قول أشعياء فى موضع آخر : « سأبعث من الصبا قوماً يأتون من المشرق مجيبين أفواجاً كالصعيد كثرة ، ومثل الطيان الذى يدوس برجله الطين »[١] . و « الصبا » يأتى من نحو مطلع الشمس ، بعث الله سبحانه من هناك قوماً من أهل المشرق مجيبين بالتلبية كالتراب كثرة . وقوله : « ومثل الطيان الذى يدوس برجله الطين » إما أن يراد به الهرولة بالطواف والسعى ، وإما أن يراد به رجال قد كلّت أرجلهم من المشى .

الوجه الثالث والعشرون : فى كتاب أشعياء أيضاً : « عبدى وخيرتى ورضا نفسى ، أفيض عليه روحى » ، أو قال : « أنزل عليه روحى ، فيظهر فى الأمم عدلى ويوصى الأمم بالوصايا ، لا يضحك ، ولا يسمع صوته ، يفتح العيون العمى العور ، ويسمع الآذان الصم ، ويحيى القلوب الغلف ، ومـاأعطيه لا أعطى غيره ، لا يضعف ولا يغلب ، ولا يميل إلى اللهو ، ولا يسمع فى الأسواق صوته ، ركن للمتواضعين ، وهو نور الله الذى لا يطفى ولا يخصم ، حتى يثبت فى الأرض حجتى ، وينقطع به المعذرة »[٢] .

أوصاف البشارات منطبقة على نبينا ﷺ وأمته إلى يوم القيامة

فمن وُجد بهذا الوصف غير محمد بن عبد الله ﷺ ؟! فلو اجتمع أهل الأرض لم يقدروا أن يذكروا نبياً جمع هذه الأوصاف كلها ـ وهى باقية فى أمته إلى يوم القيامة ـ غيره ، لم يجدوا إلى ذلك سبيلاً ، فقوله : « عبدى » موافق لقوله فى القرآن : ﴿ **وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا** ﴾ [البقرة : ٢٣] ، وقوله : ﴿ **تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا** ﴾ [الفرقان : ١] ، وقوله : ﴿ **وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللهِ يَدْعُوهُ** ﴾ [الجن : ١٩] ، وقوله : ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً** ﴾ [الإسراء : ١] ، وقوله : « وخيرتى ورضا نفسى » مطابق لقوله ﷺ : « **إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشاً من كنانة ، واصطفى بنى هاشم من قريش ، واصطفانى من بنى هاشم** »[٣] ، وقوله : « لا يضحك » مطابق لوصفه الذى كان عليه ﷺ ، قالت عائشة : ' ما رُؤى رسول الله ﷺ ضاحكاً حتى تبدو لهواته ؛ إنما كان يتبسم تبسماً »[٤] ، وهذا

---

(١) سفر إشعياء [٤١ : ٢٥] . وانظر محمد نبى الإسلام [ص ٢١ - ٢٣] .

(٢) سفر إشعياء [٤٢ : ١ - ٧] . وانظر محمد نبى الإسلام [ص ١٨ - ٢٠] .

(٣) صحيح . مسلم فى الفضائل . باب فضل نسب النبى ﷺ .. [١] .

(٤) صحيح . البخارى فى التفسير . سورة الأحقاف [٤٤١/٨] وفى الأدب . باب التبسم والضحك [٥١٩/١٠، ٥٢٠] ومسلم فى الاستسقاء . باب التعوذ عند رؤية الريح الغيم . والفرح بالمطر [١٦] واللهوات جمع لهاة : وهى اللحمة الحمراء المعلقة فى أعلى الحنك .

لأن كثرة الضحك من خفة الروح ونقصان العقل ؛ بخلاف التبسم فإنه من حسن الخلق وكمال الإدراك ، وأما صفته ﷺ فى بعض الكتب المتقدمة بأنه « الضحوك القتال » فالمراد به أنه لا يمنعه ضحكه وحسن خلقه إذا كان حداً لله وحقاً له ، ولا يمنعه ذلك عن تبسمه فى موضعه ، فيعطى كل حال ما يليق بتلك الحال فترك الضحك بالكلية من الكبر والتجبر وسوء الخلق ، وكثرته من الخفة والطيش ، والاعتدال بين ذلك . وقوله : « أنزل عليه روحى » مطابق لقوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا ﴾ [الشورى : ٥٢] ، وقوله : ﴿ يُنَزِّلُ الْمَلاَئِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاتَّقُونِ ﴾ [النحل : ٢] ، وقوله : ﴿ يُلْقِى الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلاَقِ ﴾ [غافر : ١٥] ، فسمى الوحى روحاً لأن حياة القلوب والأرواح به ، كما أن حياة الأبدان بالأرواح . وقوله : « فيظهر فى الأمم عدلى » مطابق قوله تعالى : ﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُم ، وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنْ كِتَابٍ ، وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُم ﴾ [الشورى : ١٥] ، وقوله عن أهل الكتاب : ﴿ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُم أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُم ، وإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُم فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا ، وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ ﴾ [المائدة : ٤٢] ، وقوله : « يوصى الأمم بالوصايا » مطابق لقوله تعالى : ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ [الشورى : ١٣] ، وقوله فى سورة الأنعام : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَنْ لاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ إلى قوله : ﴿ ذَلِكُم وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُم تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنعام : ١٥١] ، ثم قال : ﴿ وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ﴾ إلى قوله : ﴿ ذَلِكُم وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُم تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأنعام : ١٥٢] ، ثم قال : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِى مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُم عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُم وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُم تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام : ١٥٣] . ووصاياه ﷺ هى عهوده إلى الأمة بتقوى الله وعبادته وحده لا شريك له ، والتمسك بما بعثه الله به من الهدى ودين الحق ، والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ولقائه .

وقوله : « ولا تسمع صوته » يعنى ليس بصخاب له فديد ★ كحالِ من ليس له حلم ولا وقار ، وقوله : « يفتح العيون العمى والآذان الصم والقلوب الغلف » إشارة إلى تكميل مراتب العلم والهدى الحاصل فى القلوب والأبصار والأسماع ، فباينوا بذلك أحوال الصم البكم العمى الذين لهم قلوب لا يعقلون بها ، فإن الهدى يصل إلى العبد من هذه الأبواب الثلاثة ، وهى مغلقة عن كل أحد لا تفتح إلا على أيدى الرسل ، ففتح الله بمحمد ﷺ الأعين العمى فأبصرت بالله ، والآذان الصم فسمعت عن الله ، والقلوب الغلف فعقلت عن الله ، فانقادت

★ فَدَّ الرجل : اشتد صوته .

لطاعته عقلاً وقولاً وعملاً ، وسلكت سبل مرضاته ذللا ، وقوله : « وما أعطيه فلا أعطى غيره » مطابق لقوله ﷺ : « أعطيت ما لم يعط أحد من الأنبياء قبلي »[1] ، ولقول الملائكة لما ضربوا له المثل : « لقد أعطى هذا النبي ما لم يُعْطَ نبى قبله إن عينيه ينامان وقلبه يقظان »[2]. فمن ذلك أنه بعث إلى الخلق عامة ، وختم به ديوان الأنبياء ، وأنزل عليه القرآن الذى لم ينزل من السماء كتاب يشبهه ولا يقاربه ، وأنزل على قلبه محفوظاً متلواً ، وضمن له حفظه إلى أن يأتى الله بأمره ، وأوتى جوامع الكلم ، ونصر بالرعب فى قلوب أعدائه وبينهما مسيرة شهر ، وجعلت صفوف أمته فى الصلاة على مثال صفوف الملائكة فى السماء ، وجعلت الأرض له ولأمته مسجداً وطهوراً ، وأسرى به إلى أن جاوز السموات السبع ورأى ما لم يره بشر قبله ، ورفع على سائر النبيين ، وجعل سيد ولد آدم ، وانتشرت دعوته فى مشارق الأرض ومغاربها ، واتبعه على دينه أتباع أكثر من أتباع سائر النبيين من عهد نوح إلى المسيح ، فأمته ثلثا أهل الجنة ، وخصه بالوسيلة وهى أعلى درجة فى الجنة ، وبالمقام المحمود الذى يغبطه به الأولون والآخرون ، وبالشفاعة العظمى التى يتأخر عنها آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ، وأعز الله به الحق وأهله عزاً لم يعزه بأحد قبله ، وأذل به الباطل وحزبه ذلاً لم يحصل بأحد قبله ، وآتاه من العلم والشجاعة والصبر والزهد فى الدنيا والرغبة فى الآخرة والعبادات القلبية والمعارف الإلهية ما لم يؤته نبى قبله ، وجعلت الحسنة منه ومن أمته بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ، وتجاوز له عن أمته الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه ، وصلى عليه هو وجميع ملائكته عليهم صلوات الله وسلامه ، وأمر عباده المؤمنين كلهم أن يصلوا عليه ويسلموا تسليماً ، وقرن اسمه باسمه فإذا ذكر الله ذكر معه كما فى الخطبة والتشهد والأذان ، فلا يصح لأحد أذان ولا خطبة ولا صلاة حتى يشهد أنه عبده ورسوله ، ولم يجعل لأحد معه أمراً يطاع لا ممن قبله ولا ممن هو كائن بعده إلى أن تطوى الدنيا ومن عليها ، وأغلق أبواب الجنة إلا عمن سلك خلفه واقتدى به ، وجعل لواء الحمد بيده فآدم وجميع الأنبياء تحت لوائه يوم القيامة ، وجعله أول من تنشق عنه الأرض ، وأول شافع وأول مشفع ، وأول من يقرع باب الجنة ، وأول من يدخلها فلا يدخلها أحد من الأولين والآخرين إلا بشفاعته[3]، وأعطى من اليقين والإيمان والصبر والثبات والقوة فى أمر الله والعزيمة على تنفيذ أوامره والرضا عنه والشكر له والقنوع فى مرضاته

---

(١) سبق تخريجه من حديث «ونصرت بالرعب مسيرة شهر» .

(٢) صحيح . البخارى فى الاعتصام . باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ [١٣/٢٦٣] .

(٣) كل ما ذكره المؤلف عن محمد ﷺ وأمته وردت به أحاديث صحيحة يضيق المكان عن ذكرها . ولكن انظرها فى الصحاح من كتب السنة .

وطاعته ظاهراً وباطناً سراً وعلانية فى نفسه وفى الخلق ما لم يعطه نبى قبله . ومن عرف أحوال العالم وسير الأنبياء وأممهم تبين له أن الأمر فوق ذلك ، فإذا كان يوم القيامة ظهر للخلائق من ذلك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر أنه يكون أبداً . قوله : « ولا يضعف ولا يغلب » هكذا كان حاله ﷺ ما ضعف فى ذات الله قط ، ولا فى حال انفراده وقلة أتباعه وكثرة أعدائه واجتماع أهل الأرض على حربه ؛ بل هو أقوى الخلق وأثبتهم جأشاً[1] وأشجعهم قلباً ، حتى إنه يوم أُحد قُتل أصحابه وجرحوا وما ضعف ولا استكان ؛ بل خرج من الغد فى طلب عدوه على شدة القرح[2] حتى أرعب منه العدو وكر خاسئاً على كثرة عَددهم وعُددهم وضعف أصحابه ، وكذلك يوم حنين أفرد عن الناس فى نفر يسير دون العشرة والعدو قد أحاطوا به وهم ألوف مؤلفة فجعل يثب فى العَدو ويقول :

أنا النبى لا كذب أنا ابنُ عبد المطلب

ويتقدم إليهم ، ثم أخذ قبضة من التراب فرمى بها وجوههم فولوا منهزمين[3] ومن تأمل سيرته وحروبه علم أنه لم يطرق العالم أشجع منه ولا أثبت ولا أصبر ، وكان أصحابه مع أنهم أشجع الأمم إذا حمى البأس واشتد الحرب اتقوا به وتترسوا به[4] فكان أقربهم إلى العدو ، وأشجعهم هو الذى يكون قريباً منه ، وقوله : « ولا يميل إلى اللهو » هكذا كانت سيرته كان أبعد الناس من اللهو واللعب ؛ بل أمره كله جد وحزم وعزم ، مجلسه مجلس حياء وكرم وعلم وإيمان ووقار وسكينة . وقوله : « ولا يسمع فى الأسواق صوته » أى ليس من الصاخبين فى الأسواق فى طلب الدنيا والحرص عليها كحال أهلها الطالبين لها . وقوله : « ركن للمتواضعين » فإن من تأمل سيرته وجده أعظم الناس تواضعاً للصغير والكبير والمسكين والأرملة والحر والعبد .. يجلس معهم على التراب ، ويجيب دعوتهم ، ويسمع كلامهم ، وينطلق مع أحدهم فى حاجته ، ويأخذ له حقه ممن لا يستطيع أن يطالبه به . ويخصف[5] نعله ، ويخيط ثوبه ، وقوله : « وهو نور الله الذى لا يطفىء ولا يخصم حتى يثبت فى الأرض حجته وينقطع به العذر » وهذا مطابق لحاله وأمره ، ولما شهد به القرآن فى غير موضع كقوله تعالى : ﴿ **يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ** ﴾ [التوبة : ٣٢] . وقوله : ﴿ **يَاأَيُّهَا النَّبِىُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ**

---

(١) الجأش : النَّفس أو القلب . يقال : هو رابط الجأش : ثابت عند الشدائد .

(٢) القرح : بفتح القاف وضمها : أثر الإصابة بجرح أو الجرح نفسه .. ويستعار للألم النفسى وللهزيمة لأنها جرح فى الكرامة والعزة .

(٣) صحيح . البخارى فى **الجهاد** . من صَفَّ أصحابه عند الهزيمة ونزل عن دابته فاستنصر [١٢٣/٦] وفى المغازى . باب قول الله تعالى ﴿ **ويوم حنين إذا أعجبتكم** .. ﴾ الآية [٦٢٢/٧] ومسلم فى الجهاد . باب فى غزوة حنين [٧٨ - ٨٠] .

(٤) تترسوا . أى توقُوا بالترس ، والتُّرس : ما كان يتوقى به فى الحرب . (٥) خَصَفَ النعل : خَرَزَهَا بالمِخْصَفْ .

شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٤٥ ـ ٤٦] ، وقوله : ﴿ قَدْ جَاءَكُم مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ۝ يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ ﴾ [المائدة : ١٥ ـ ١٦] ، وقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِن رَبِّكُم وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُم نُورًا مُبِينًا ﴾ [النساء : ١٧٤] . وقوله : ﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف : ١٥٧] . ونظائره فى القرآن كثيرة . وقوله : « حتى ينقطع به العذر وتثبت به الحجة » مطابق لقوله تعالى : ﴿ رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ [النساء : ١٦٥] ، وقوله : « وَالْمُرْسَلاَتِ عُرْفًا ﴾ إلى قوله : ﴿ فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ۝ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴾ [المرسلات : ١ ـ ٦] ، وقوله : ﴿ وَلَوْلاَ أَنْ تُصِيبَهُم مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِم فَيَقُولُوا رَبَّنَا لولا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [القصص : ٤٧] ، وقوله: ﴿ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ ۝ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُم فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُم وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ﴾ [الأنعام : ١٥٦ ـ ١٥٧] . فالحجة إنما قامت على الخلق بالرسل ، وبهم انقطعت المعذرة ، فلا يمكن من بلغته دعوتهم وخالفها أن يعتذر إلى الله يوم القيامة إذ ليس له عذر يُقبل منه .

عبد الله بن عمرو يخبر من التوراة عن بعض صفات الرسول

فصل : وهذه البشارة مطابقة لما فى صحيح البخارى أنه قيل لعبد الله بن عمرو أخبرنا ببعض صفات رسول الله ﷺ فى التوراة ، فقال : « إنه لموصوف فى التوراة ببعض صفته فى القرآن : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيراً ﴾ وحِرْزاً للأميين ، أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب بالأسواق ، ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يجزى بالسيئة الحسنة ويعفو ويغفر ، ولن أقبضه حتى أقيم به الملة العوجاء ، فأفتح به أعيناً عمياً ، وآذاناً صماً ، وقلوباً غلفاً بأن يقولوا : لا إله إلا الله »[1] ، وقوله : « إن هذا فى التوراة » لا يريد به التوراة المعينة التى هى كتاب موسى ؛ فإن لفظ التوراة والإنجيل والقرآن والزبور يراد به الكتب المعينة تارة ، ويراد به الجنس تارة . فيعبر بلفظ القرآن عن الزبور ، وبلفظ التوراة عن القرآن ، وبلفظ الإنجيل عن القرآن أيضاً وفى الحديث الصحيح عن النبى ﷺ : « خفف على داود القرآن فكان ما بين أن تسرج دابته إلى أن يركبها يقرأ القرآن »[2] فالمراد به قرآنه وهو الزبور ، وكذلك قوله فى البشارة التى

---

(١) صحيح . البخارى فى التفسير . باب ﴿ إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ﴾ [٤٤٩/٨] .

(٢) صحيح . البخارى فى الأنبياء . باب قوله تعالى ﴿ وآتينا داود زبوراً ﴾ [٥٢٢/٦] .

فى التوراة : « نبياً أقيم لبنى إسرائيل من إخوتهم ، أنزل عليه توراة مثل توراة موسى » ، وكذلك فى صفة أمته ﷺ فى الكتب المتقدمة « أناجيلهم فى صدورهم » فقوله : « أخبرنى بصفة رسول الله ﷺ فى التوراة » إما أن يريد التوراة المعينة أو جنس الكتب المتقدمة ، وعلى التقديرين فإجابة عبد الله بن عمرو بما هو فى التوراة أى التى هى أعم من الكتاب المعين ، فإن هذا الذى ذكره ليس فى التوراة المعينة بل هو فى كتاب إشعياء كما حكيناه عنه ، وقد ترجموه أيضاً بترجمة أخرى فيها بعض الزيادة : « عبدى ورسولى الذى سرت به نفسى ، أنزل عليه وحيى فيظهر فى الأمم عدلى ويوصيهم بالوصايا ، لا يضحك ، ولا يسمع صوته فى الأسواق ، يفتح العيون العور ، والآذان الصم ، ويُحيى القلوب الغلف ، وما أعطيه لا أعطيه أحد !، يحمد الله حمداً جديداً يأتى به من أقطار الأرض ، وتفرح البرية وسكانها ، يهللون الله على كل شرف ، ويكبرونه على كل رابية ، لا يضعف ، ولا يغلب ، ولا يميل إلى الهوى ، مشفح ولا يذل الصالحين الذين هم كالقصبة الضعيفة ، بل يقوى الصديقين ، وهو ركن المتواضعين ، وهو نور الله الذى لا يطفى ، أثر سلطانه على كتفيه » . وقوله : « مشفح » بالشين المعجمة والفاء المشددة بوزن مكرم ، وهى لفظة عبرانية مطابقة لاسم محمد معنًى ولفظاً مقارباً كمطابقة موذ موذ بل أشد مطابقة ، ولا يمكن العرب أن يتلفظوا بها بلفظ العبرانية فإنها بين الحاء والهاء ، وفتحة الفاء بين الضمة والفتحة ، ولا يستريب عالم من علمائهم منصف أنها مطابقة لاسم محمد ، قال أبو محمد بن قتيبة : « مشفح » محمد بغير شك ، واعتباره أنهم يقولون : شفحالاها ، إذا أرادوا أن يقولوا الحمد لله ، وإذا كان الحمد شفحا فمشفح محمد بغير شك ، وقد قال لى ولغيرى بعض من أسلم من علمائهم : « إن مئذ مئذ » هو محمد ، وهو بكسر الميم والهمزة ، وبعضهم يفتح الميم ويدنيها من الضمة . قال : ولا يشك العلماء منهم بأنه محمد وإن سكتنا عن إيراد ذلك ، وإذا ضربنا عن هذا صفحاً فمن هذا الذى انطبقت عليه وعلى أمته هذه الصفات سواه ؟! ومن هذا الذى أثر سلطانه وهو خاتم النبوة على كتفيه رآه الناس عياناً مثل زِرِّ الحَجَلَة ؟!![1] فماذا بعد الحق إلا الضلال ، وبعد البصيرة إلا العمى ﴿ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾ [النور : ٤٠] ، فصفات هذا النبى ومخرجه ومبعثه وعلاماته وصفات أمته فى كتبهم يقرؤونها فى كنائسهم ويدرسونها فى مجالسهم لا ينكرها منهم عالم ولا يأباها جاهل ؛ ولكنهم يقولون لم يظهر بعد ، وسيظهر ونتبعه . قال ابن إسحاق : حدثنى محمد بن أبى محمد ، عن عكرمة وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس : أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس

(١) المراد بالحجلة واحدة الحجال ، وهى بيت كالقبة لها أزرار كبار وعرى . وقال بعضهم : المراد بالحجلة الطائر المعروف وزرها بيضها .

والخزرج برسول الله ﷺ قبل مبعثه ، فلما بعثه الله من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولونه فيه ، فقال معاذ بن جبل وبشر بن البراء بن معرور وداود بن سلمة : يا معشر يهود ، اتقوا الله وأسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ﷺ ونحن أهل شرك ، وتخبرونا بأنه نبى مبعوث ، وتصفونه بصفته ، فقال سلام بن مشكم أخو بنى النضير : ما جاءنا بشيء نعرفه ، وما هو بالذى كنا نذكر لكم ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾[1] [البقرة : ٨٩] ، وقال أبو العالية : كان اليهود إذا استنصروا بمحمد على مشركى العرب يقولون : اللهم ابعث هذا النبى الذى نجده مكتوباً عندنا حتى يعذب المشركين ويقتلهم ، فلما بعث الله محمداً ﷺ ورأوا أنه من غيرهم كفروا به حسداً للعرب وهم يعلمون أنه رسول الله ﷺ ، فأنزل الله تعالى هذه الآيات ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾[2] ، وقال ابن إسحاق : حدثنى عاصم بن عمرو بن قتادة الأنصارى ، عن رجال من قومه ، قالوا : ومما دعانا إلى الإسلام مع رحمة الله وهداه ما كنا نسمع من رجال اليهود ، وكنا أهل شرك أصحاب أوثان وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس عندنا ، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور ، فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا : قد تقارب زمان نبى يبعث الآن نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم فكنا كثيراً ما نسمع ذلك منهم ، فلما بعث الله رسوله ﷺ أجبناه حين دعانا إلى الله ، وعرفنا ما كانوا يتوعدونا به ، فبادرناهم إليه فآمنا به وكفروا به ، ففينا وفيهم نزلت هذه الآيات التى فى البقرة : ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾[3].

الوجه الرابع والعشرون: فى كتاب إشعياء : « أشكر حبيبى وابنى أحمد » ، فلهذا جاء ذكره فى نبوة إشعياء أكثر من غيرها من النبوات ، وأعلن إشعياء بذكره ووصفه ووصف أمته ، ونادى بها فى نبوته سراً وجهراً لمعرفته بقدره ومنزلته عند الله .

وقال إشعياء أيضاً : « إنا سمعنا من أطراف الأرض صوت محمد » . وهذا إفصاح باسمه ﷺ ، فليرنا أهل الكتاب نبياً نصت الأنبياء على اسمه وصفته ونعته وسيرته وصفة أمته وأحوالهم سوى رسول الله ﷺ ؟[4].

---

(١) إسناده حسن . السيرة النبوية لابن هشام [٢/٣٥٥] وتفسير ابن كثير [١/١٢٤] ولباب المنقول للسيوطى [ص ١٣] .

(٢) انظر تفسير ابن كثير [١/١٢٤] .

(٣) سبق الحديث عنه .

(٤) انظر الجواب الصحيح لابن تيمية [٣/٣٢٩ ، ٣٣٠] .

من البشارات فى كتاب حبقوق

الوجه الخامس والعشرون : قول حبقوق فى كتابه : « إن الله جاء من التيمن ، والقدوس من جبال فاران ، لقد أضاءت السماء من بهاء محمد ، وامتلأت الأرض من حمده ، وشاع منظره مثل النور ، يحوط بلاده بعزة ، تسير المنايا أمامه ، وتصحب سباع الطير أجناده ، قام يمسح الأرض فتضعضعت له الجبال القديمة وانخفضت الروابى ، فتزعزعت أسوار مدين ، ولقد حاز المساعى القديمة » .

ثم قال : « زجرك فى الأنهار واحتدام صوتك فى البحار ، ركبت الخيول ، وعلوت مراكب الأتقياء ، وستنزع فى قسيك أعراقاً ، وترتوى السهام بأمرك يا محمد ارتواء ، ولقد رأتك الجبال فارتاعت ، وانحرف عنك شؤبوب[1] السيل ، وتغيرت المهارى[2] تغييراً رفعت أيديها وجلاً وخوفاً ، وسارت العساكر فى بريق سهامك ولمعان نيازكك[3] تدوخ الأرض وتدوس الأمم ، لأنك ظهرت لخلاص أمتك ، وإنقاذ تراث آبائك »[4].

فمن رام صرف هذه البشارة عن محمد فقد رام ستر الشمس بالنهار وتغطية البحار ، وأنى يقدر على ذلك وقد وصفه بصفات عينت شخصه وأزالت عن الحيران لبسه ؟! ، بل قد صرح باسمه مرتين ،حتى انكشف الصبح لمن كان ذا عينين ، وأخبر بقوة أمته وسير المنايا أمامهم واتباع جوارح الطير آثارهم .

وهذه النبوة لا تليق إلا بمحمد ﷺ ولا تصلح إلا له ولا تنزل إلا عليه ، فمن حاول صرفها عنه فقد حاول صرف الأنهار العظيمة عن مجراها ، وحبسها عن غايتها ومنتهاها ، وهيهات ما يروم المبطلون والجاحدون ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون فمن الذى امتلأت الأرض من حمده وحمد أمته لله فى صلواتهم وخطبهم وأدبار صلواتهم وعلى السراء والضراء وجميع الأحوال سواء ؟! حتى سماهم الله قبل ظهورهم الحمادين ! ومن الذى كان وجهه كأن الشمس والقمر يجريان فيه فى ضيائه ونوره ؟!

قد عَوَّد الطيرَ عاداتٍ وثقْنَ بها ... فهنَّ يتبعنه فى كل مُرْتحِلِ
لَوْ لم يقُلْ إنِّى رسولُ أمة ... شاهِدُه فى وجهه ينطـقُ

ومن الذى سارت المنايا أمامه وصحبت سباع الطير جنوده لعلمها بما يقرب من ذبح الكفار لله الواحد القهار ؟!

يَتطَايرُونَ بقربه قربانهم ... بدماءِ مَنْ عَلَقُوا من الكفار

---

(١) شُؤْبوب : الشدة من كل شىء . والجمع : شآبيب .

(٢) المهارى : مفردها المهرِيَّة : إبل مهرية : نجائب تسبق الخيل ، منسوبة لقبيلة مهرة بن حَيْدان .

(٣) مفردها : النيزك : وهو الرمح القصير .

(٤) سبق الحديث والتعليق على هذه البشارة فى الوجه الخامس .

ومن الذى تضعضعت له الجبال وانخفضت له الروابى وداس الأمم ودوخ العالم ، انتقضت بنبوته الممالك وخلص الأمة من الشرك والكفر والجهل والظلم سواه ؟!

حزقيال ودانيال يبشران بنبى الإسلام

الوجه السادس والعشرون : قوله فى كتاب حزقيال يهدد اليهود ويصف لهم أمة محمد ﷺ : « وإن الله مظهرهم عليكم ، وباعث فيهم نبياً ، وينزل عليه كتاباً ، ويملكهم رقابكم فيقهرونكم ويذلونكم بالحق ، ويخرج رجال من بنى قيدار فى جماعات الشعوب معهم ملائكة على خيل بيض متسلحين يوقعون بكم ، وتكون عاقبتكم إلى النار »[1] .

فمن الذى أظهره الله على اليهود حتى قهرهم وأذلهم وأوقع بهم وأنزل عليه كتاباً ؟ ومن هم بنو قيدار غير بنى إسماعيل الذين خرجوا معه ومعهم جماعات الشعوب ؟ ومن الذى نزلت عليه وعلى أمته الملائكة على خيل بيض يوم بدر ويوم الأحزاب ويوم حنين حتى عاينوها عياناً تقاتل بين يديه وعن يمينه وعن شماله ، حتى غلب ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً ليس معهم غير فرسين ألف رجل مقنعين فى الحديد معدودين من فرسان العرب فأصبحوا بين قتيل وأسير ومنهزم ؟[2] .

الوجه السابع والعشرون : قال دانيال النبى حين سأله بخت نصر عن تأويل رؤيا رآها ثم أنسيها : « رأيت أيها الملك صنماً عظيماً قائماً بين يديك ، رأسه من ذهب ، وساعداه من فضة ، وبطنه وفخذاه من نحاس ، وساقاه من حديد ، ورجلاه من الخزف ، فبينا أنت متعجب منه إذ أقبلت صخرة فدقت ذلك الصنم فتفتت وتلاشى وعاد رفاتاً ثم نسفته الرياح وذهب ، وتحول ذلك الحجر إنساناً عظيماً ملأ الأرض ، فهذا ما رأيت أيها الملك » ، فقال بخت نصر : صدقت فما تأويلها ؟ قال : « أنت الرأس الذى رأيته من الذهب ، ويقوم بعدك ولدك وهو الذى رأيته من الفضة وهو دونك ، وتقوم بعده مملكة أخرى هى دونه وهى تشبه النحاس ، وبعدها مملكة قوية مثل الحديد ، وأما الرجلان اللذان رأيت من خزف فمملكة ضعيفة ، وأما الحجر العظيم الذى رأيته دق الصنم ففتته فهو نبى يقيمه إله الأرض والسماء بشريعة قوية فيدق جميع ملوك الأرض وأممها حتى تمتلىء الأرض منه ومن أمته ، ويدوم سلطان ذلك النبى إلى انقضاء الدنيا فهذا تعبير رؤياك أيها الملك »[3] .

ومعلوم أن هذا منطبق على محمد بن عبد الله حذو القذة بالقذة ؛ لا على المسيح ولا على نبى سواه ، فهو الذى بعث بشريعة قوية ودق جميع ملوك الأرض وأممها حتى امتلأت الأرض

---

(١) انظر منظومة الإمام البوصيرى [ص ٤٦] .

(٢) انظر الجواب الصحيح [٣/٣٣١ ، ٣٣٢] .

(٣) سفر دانيال : الإصحاح الثانى .

من أمته ، وسلطانه دائم إلى آخر الدهر ، لا يقدر أحد أن يزيله كما أزال سلطان اليهود من الأرض ، وأزال سلطان النصارى عن خيار الأرض ووسطها فصار فى بعض أطرافها ، وأزال سلطان المجوس وعباد الأصنام وسلطان الصابئين[1] .

الوجه الثامن والعشرون : قول دانيال أيضاً : « سألت الله وتضرعت إليه أن يبين لى ما يكون من بنى إسرائيل ، وهل يتوب عليهم ويرد إليهم ملكهم ويبعث فيهم الأنبياء أو يجعل ذلك فى غيرهم ، فظهر لى الملك فى صورة شاب حسن الوجه فقال : السلام عليك يا دانيال ، إن الله يقول : إن بنى إسرائيل أغضبونى وتمردوا علىَّ وعبدوا من دونى آلهة أخرى ، وصاروا من بعد العلم إلى الجهل ، ومن بعد الصدق إلى الكذب ، فسلطت عليهم بختنصر فقتل رجالهم وسبى ذراريهم وهدم مسجدهم ، وحرق كتبهم ، وكذلك يفعل من بعده بهم ، وأنا غير راضٍ عنهم ، ولا مقيلهم عثراتهم ، فلا يزالون فى سخطى حتى أبعث مسيحى ابن العذراء البتول فأختم عليهم عند ذلك باللعن والسخط ، فلا يزالون ملعونين عليهم الذلة والمسكنة حتى أبعث نبى بنى إسماعيل الذى بشرت به هاجر ، وأرسلت إليها ملاكى فبشرها ، فأوحى إلى ذلك النبى ، وأعلمه الأسماء ، وأزينه بالتقوى ، وأجعل البر شعاره ، والتقوى ضميره ، والصدق قوله ، والوفاء طبيعته ، والقصد سيرته ، والرشد سنته ، أخصه بكتاب مصدق لما بين يديه من الكتب ، وناسخ لبعض ما فيها ، أسرى به إلى ، وأرقيه من سماء إلى سماء حتى يعلو فأدنيه وأسلم عليه ، وأوحى إليه وأرقيه ثم أرده إلى عبادى بالسرور والغبطة ، حافظاً لما استودع ، صادقاً بما أمر ، يدعو إلى توحيدى باللين من القول والموعظة الحسنة ، لا فظ ولا غليظ ولا صخاب بالأسواق ، رءوف بمن والاه ، رحيم بمن آمن به خشن على من عاداه ، فيدعو قومه إلى توحيدى وعبادتى ، ويخبرهم بما رأى من اياتى ، فيكذبونه ويؤذونه » .

ثم سرد دانيال قصة رسول الله ﷺ مما أملاه عليه الملك حتى وصل آخر أيام أمته بالنفخة وانقضاء الدنيا . وهذه البشارة أيضاً عند اليهود والنصارى يقرؤونها ويقرون بها ، ويقولون : لم يظهر صاحبها بعد[2].

قال أبو العالية : فما فتح المسلمون تستر وجدوا دانيال ميتاً ووجدوا عنده مصحفاً . قال أبو العالية : أنا قرأت ذلك المصحف وفيه صفتكم وأخباركم وسيرتكم ولحون كلامكم ، وكان أهل الناحية إذا أجدبوا كشفوا عن قبره فيسقون ، فكتب أبو موسى الأشعرى فى ذلك إلى عمر بن الخطاب ، فكتب عمر أن احفر بالنهار ثلاثة عشر قبراً وادفنه بالليل فى واحد منها لئلا يفتتن الناس به[3].

---

(١) انظر الجواب الصحيح لابن تيمية [٣/٤ ، ٤] . وإظهار الحق [٢٦٨/٢ - ٢٧٠] .

(٢) لم أجد هذه البشارة فى دانيال . لكن انظر الجواب الصحيح حيث ينقل عنه المؤلف نقلاً يكاد يكون حرفياً [٥٢٤/٤] .

(٣) الجواب الصحيح لابن تيمية [٥/٤] .

الوجه التاسع والعشرون : قال كعب ـ وذكر صفة رسول الله ﷺ فى التوراة ويريد بها التوراة التى هى أعم من التوراة المعينة ـ « أحمد عبدى المختار لا فظ ولا غليظ ولا صخاب فى الأسواق ، ولا يجزى بالسيئة السيئة ، يعفو ويغفر ، مولده بكاء ، وهجرته طابا ، وملكه بالشام ، وأمته الحمادون يحمدون الله على كل نَجْد ، ويسبحونه فى كل منزلة ، ويوضئون أطرافهم ، ويأتزرون على أنصافهم ، وهم رعاة الشمس ، ومؤذنهم فى جو السماء ، وصفهم فى القتال وصفهم فى الصلاة سواء ، رهبان بالليل ، أُسُد بالنهار ، ولهم دوى كدوى النحل ، يصلون الصلاة حيثما ما أدركتهم ولو على كناسة »[1].

الوجه الثلاثون : قال ابن أبى الزناد : حدثنى عبد الرحمن بن الحارث ، عن عمر بن حفص وكان من خيار الناس ، قال : كان عند أبى وجدى ورقة يتوارثونها قبل الإسلام فيها « اسم الله وقوله الحق ، وقول الظالمين فى تبار[2] ، هذا الذكر لأمة تأتى فى آخر الزمان يتزرون على أوساطهم ، ويغسلون أطرافهم ، ويخوضون البحور إلى أعدائهم ، فيهم صلاة لو كانت فى قوم نوح ما هلكوا بالطوفان ، وفى ثمود ما هلكوا بالصيحة »[3].

بشارات مما سبق من نبوات

الوجه الحادى والثلاثون : قال أشعياء وذكر قصة العرب فقال : « ويدوسون الأمم دياس البيادر »[4] ، وينزل البلاء بمشركى العرب ، وينهزمون بين يدى سيوف مسلولة وقسى مؤترة من شدة الملحمة »[5].

وهذا إخبار عما حل بعبدة الأوثان من رسول الله ﷺ وأصحابه يوم بدر ويوم حنين وفى غيرهما من الوقائع[6].

الوجه الثانى والثلاثون : قوله فى الإنجيل الذى بأيدى النصارى عن يوحنا : « إن المسيح قال للحواريين : من أبغضنى فقد أبغض الرب ، ولولا أنى صنعت لهم صنائع لم يصنعها أحد لم يكن لهم ذنب ، ولكن من الآن بطروا فلابد أن تتم الكلمة التى فى الناموس لأنهم أبغضونى مجاناً ، فلو قد جاء المنحمنا هذا الذى يرسله الله إليكم من عند الرب روح الحق

(١) انظر الجواب الصحيح [٤/٥ ، ٦] .

(٢) تبار : هلاك .

(٣) انظر الجواب الصحيح [٤/٦] .

(٤) مفردها : البَيْدر : وهو القمح ونحوه بعد دياسه وتقويمه .

(٥) فى سفر إشعياء ما نصه : « يادياستى وبنى بيدرى . ما سمعته من رب الجنود إله إسرائيل أخبرتكم به .. وحى من جهة بلاد العرب فى الوعر فى بلاد العرب تبيتين يا قوافل الدُّرانيين . هاتوا ماءً لملاقاة العطشان يا سكان أرض تيماء وافوا الهارب بخبزه . فإنهم من أمام السيوف قد هربوا . من أمام السيف المسلول ومن أمام القوس المشدودة ومن أمام شدة الحرب [إشعياء ٢١ : ١٠ ، ١٣ ، ١٥] .

(٦) انظر الجواب الصحيح [٤/٦] .

فهو شهيد على وأنتم أيضاً لأنكم قديماً كنتم معى ، هذا قولى لكم لكى لا تشكوا إذا جاء »[1].

و « المنحمنا » بالسريانية ، وتفسيره بالرومية الفارقليط ، وهو بالعبرانية الحماد والمحمود والحمد كما تقدم .

الوجه الثالث والثلاثون : قوله فى الإنجيل أيضاً ـ إنجيل متّى ـ : إن المسيح قال لليهود : « وتقولون : لو كنا فى أيام آبائنا لم نساعدهم على قتل الأنبياء ، فأتمّوا كيل آبائكم يا ثعابين بنى الأفاعى كيف لكم النجاة من عذاب النار » . « وسأبعث إليكم أنبياء وعلماء تقتلون منهم وتصلبون وتجلدون ، وتطلبونهم من مدينة إلى أخرى ، لتتكامل عليكم دماء المؤمنين المهرقة على الأرض من دم هابيل الصالح إلى دم زكريا بن بَرَخِيًّا الذى قتلتموه عند المذبح ، إنه سيأتى جميع ما وصفت على هذه الأمة ، يا أورشليم التى تقتل الأنبياء وترجم من بعث إليك ، قد أردت أن أجمع بنيك كجمع الدجاجة فراريجها تحت جناحها وكرهت أنت ذلك ، سأقفر عليكم بيتكم ، وأنا أقول لا ترونى الآن حتى يأتى من يقولون له مبارك ، يأتى على اسم الله »[2].

فأخبرهم المسيح أنهم لابد أن يستوفوا الصاع الذى قدر لهم ، وأنه سيقفر عليهم بيتهم أى يخليه منهم ، وأنه يذهب عنهم فلا يرونه حتى يأتى المبارك الذى يأتى على اسم الله . فهو ـ أى محمد ـ الذى انتقم بعده لدماء المؤمنين .

وهذا نظير قوله فى الموضع الآخر : « إن خيراً لكم أن أذهب عنكم حتى يأتيكم الفارقليط فإنه لا يجىء ما لم أذهب » .

وقوله أيضاً : « ابن البشر ذاهب ، والفارقليط من بعده » ، وفى موضع آخر : « أنا أذهب وسيأتيكم الفارقليط » .

والفارقليط والمبارك الذى جاء بعد المسيح هو محمد ﷺ كما تقدم تقريره .

الوجه الرابع والثلاثون : قوله فى إنجيل متّى : أنه لما حبس يحيى بن زكريا بعث تلاميذه إلى المسيح وقال لهم : « قولوا له : أنت إيلياء أم نتوقع غيرك ؟ » ، فقال المسيح : « الحق اليقين أقول لكم : إنه لم تقم النساء عن أفضل من يحيى بن زكريا ، وإن التوراة وكتب الأنبياء تتلو بعضها بعضاً بالنبوة والوحى حتى جاء يحيى ، وأما الآن فإن شئتم فاقبلوا فإن إيلياء مزمع أن يأتى ، فمن كانت له أذنان سامعتان فليستمع »[3].

---

(١) انظر الوجه الخامس من البشارات ★ التعليق على كلمة « المعزى » .

(٢) إنجيل متى ٢٣ : ٢٩ – ٣٩ . وهو يشير بقوله « مبارك الآتى باسم الرب » إلى المزمور ١١٨ : ٢٦ .

(٣) متى ١١ : ٢ ، ٣ ، ١١ – ١٥ .

وهذه بشارة بمجيء الله سبحانه الذى هو « إيلياء » بالعبرانية ، ومجيئه هو مجيء رسوله وكتابه ودينه ، كما فى التوراة : « جاء الله من طور سيناء » قال بعض عباد الصليب ، إنما بشر بإلياس النبى ؛ وهذا لا ينكر من جهل أمة الضلال وعباد خشبة الصليب التى نحتتها أيدى اليهود ؛ فإن إلياس قد تقدم إرساله على المسيح بدهور متطاولة[1].

الوجه الخامس والثلاثون : فى نبوءة إرمياء : « قبل أن أخلقك قد عظمتك من قبل أن أصورك فى البطن ، وأرسلتك وجعلتك نبياً للأجناس كلهم »[2].

فهذه بشارة على لسان إرمياء لمن بعده ، وهو إما المسيح وإما محمد صلوات الله وسلامه عليهما لا يعدوهما إلى غيرهما ، ومحمد أولى بها لأن المسيح إنما كان نبى لبنى إسرائيل ، كما قال تعالى : ﴿ وَرَسُولاً إِلَى بَنِى إِسْرَائِيلَ ﴾ [آل عمران : ٤٩] ، والنصارى تقر بهذا ؛ ولم يُدع المسيح أنه رسول إلى جميع أجناس أهل الأرض ؛ فإن الأنبياء من عهد موسى إلى المسيح إنما كانوا يُبعثون إلى قومهم ؛ بل عندهم فى الإنجيل أن المسيح قال للحواريين : « لا تسلكوا إلى سبيل الأجناس ، ولكن اختصروا على الغنم الرابضة من نسل إسرائيل »[3] ، وأما محمد ابن عبد الله ﷺ فهو الذى بعثه الله إلى جميع أجناس الأرض وطوائف بنى آدم ، وهذه البشارة مطابقة لقوله تعالى : ﴿ قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّى رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف : ١٥٨] ، ولقوله ﷺ : « بُعثت إلى الأسود والأحمر »[4] ، وقوله ﷺ : « وكان النبى يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة »[5].

---

(١) يقول الأستاذ محمد عزت الطهطاوى فى تعليقه على إحدى البشارات الواردة فى سفر ملاخى : « ولو كان إيلياء من أنبياء بنى إسرائيل كما تدعى اليهود لما لقب برسول الختان [ملاخى ٣ : ١] لأن أنبياء بنى إسرائيل كلهم تابعون لحكم الختان ولا يقال لأحد منهم رسول الختان . فلا يصدق هذا الوصف إلا على سيدنا محمد خاتم الأنبياء وله فيه مناسبة تامة لأنه عليه الصلاة والسلام قدسن الختان بعد أن أبطلته الأساقفة والرهبان من النصارى ، وقد رمز فى هذا السفر بإيلياء وإذ روعيت قاعدة حساب أبجد هوز .. التى يراعيها اليهود فى شريعتهم على هذا الاسم إيلياء نراه موافقا لاسم أحمد لأن كلا منهما ٥٣ (إيليا) و (أحمد) فيكون المعنى – لهذه البشارة – : « وإن أردتم أن تتبعوا فاتبعوا أحمد المزمع أن يأتى وقت بعثته ورسالته وشدد عليهم فى التمسك بهذه الوصية والمحافظة عليها فقال : من له أذنان للسمع فليسمع » . محمد نبى الإسلام [ص ٢٧ ، ٣١] .

(٢) سفر إرميا ١ : ٤ ، ٥ .

(٣) نصه فى متى : « إلى طريق أمم لا تمضوا وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة » [متى ١٠ : ٥ ، ٦] يقول الأستاذ محمد مجدى مرجان عن خصوص دعوة المسيح : « بعث الله عيسى نبيا إلى بنى إسرائيل ، وأرسله برسالة خاصة اقتصرت عليهم وحدهم دون سائر الشعوب » ويقول فى موضع آخر : « قصرت نصوص الأناجيل دعوة عيسى على بنى إسرائيل ووقفت رسالته عند هداية الضالين منهم أما باقى الأمم والشعوب وسائر الأجناس والألوان ، فلا شأن لرسالة عيسى بهم ولا علاقة بينها وبينهم ، فلم تأت الرسالة إلا لأبناء إسرائيل ، ولم تخاطب سواهم .. انظر المسيح إنسان أم إله للأستاذ محمد مجدى مرجان [ص ١٢٤ – ١٢٨] .

(٤) صحيح . مسلم فى المساجد فى فاتحته [٣] .

(٥) سبق تخريجه من حديث « ونصرت بالرعب مسيرة شهر » .

وقد اعترف النصارى بهذه البشارة و لم ينكروها ؛ لكن قال بعض زعمائهم : إنها بشارة بموسى بن عمران وإلياس واليسع ، وإنهم سيأتون فى آخر الزمان وهذا من أعظم البهت والجرأة على الله والافتراء عليه ؛ فإنه لا يأتى من قد مات إلى يوم الميقات المعلوم .

الوجه السادس والثلاثون : قول المسيح فى الإنجيل الذى بأيديهم وقد ضرب مثل الدنيا فقال : « كرجل اغترس كرماً وسيج حوله ، وجعل فيه معصرة ، وشيد فيه قصراً ، ووكل به أعواناً ، وتغرب عنه ، فلما دنا أوان قطافه بعث عبده إلى أعوانه الموكلين بالكرم » .

ثم ضرب مثلاً للأنبياء ولنفسه ، ثم للنبى الموكل آخراً بالكرم ، ثم أفصح عن أمته فقال : « وأقول لكم سيزاح عنكم ملك الله ، وتعطاه الأمة المطيعة العاملة » ، ثم ضرب لنبى هذه الأمة مثلاً بصخرة وقال : « من سقط على هذه الصخرة سينكسر ، ومن سقطت عليه ينهشم »[1] .

وهذه صفة محمد ومن ناوأه وحاربه من الناس . لا تنطبق على أحد بعد المسيح سواه .

الوجه السابع والثلاثون : قول إشعياء فى صحفه : « لتفرح أرض البادية العطشى ولتبتهج البرارى والفلوات لأنها ستعطى بأحمد محاسن لبنان ومثل حسن الدساكير »[2] . وتالله ما بعد هذا إلا المكابرة وجحد الحق بعد ما تبين .

الوجه الثامن والثلاثون : قول حزقيال فى صحفه التى بأيديهم : يقول الله عز وجل ـ بعد ما ذكر معاصى بنى إسرائيل وشبههم بكرمة غذاها ـ : « لم تلبث الكرمة أن قلعت بالسخطة ورمى بها على الأرض وأحرقت السمائم ثمارها ، فعند ذلك غرس فى البدو وفى الأرض المهملة العطشى وخرجت من أغصانها الفاضلة نار أكلت تلك الكرمة حتى لم يوجد فيها غصن قوى ولا قضيب »[3] .

وهذا تصريح لا تلويح به ﷺ ، وببلده وهى مكة العطش المهملة من النبوة قبله من عهد إسماعيل .

الوجه التاسع والثلاثون : ما فى صحف دانيال وقد نعت الكلدانيين الكذابين فقال : « لا تمتد دعوتهم ولا يتم قربانهم ، وأقسم الرب بساعده أن لا يظهر الباطل ولا يقوم لمدع كاذب دعوة أكثر من ثلاثين سنة » .

وفى التوراة ما يشبه هذا ، وهذا تصريح بصحة نبوة محمد ﷺ ، فإن الذين اتبعوه بعد موته أضعاف أضعاف الذين اتبعوه فى حياته ، وهذه دعوته قد مرت عليها القرون من السنين

---

(١) سبق الحديث للمؤلف عن هذه النبوءة فى الوجه الخامس والتعليق عليها من جانبنا .

(٢) سبق الحديث للمؤلف عن هذه النبوءة فى الوجه السابع عشر .

(٣) سفر حزقيال [١٩ : ١٠ - ١٤] .

وهى باقية مستمرة وكذلك إلى آخر الدهر ، ولم يقع هذا للملك قط فضلاً عن كذاب مفتر على الله وأنبيائه ، مفسد للعالم ، مغير لدعوة الرسل ، ومن ظن هذا بالله فقد ظن به أسوأ الظن وقدح فى علمه وقدرته وحكمته .

مناظرة مع يهودى وانتصار عليه

وقد جرت لى « مناظرة » بمصر مع أكبر من يشير إليه اليهود بالعلم والرياسة ، فقلت له فى أثناء الكلام : أنتم بتكذيبكم محمداً ﷺ قد شتمتم الله أعظم شتيمة . فعجب من ذلك ، وقال : مثلك يقول هذا الكلام ! فقلت له : اسمع الآن تقريره ، إذا قلتم : إن محمداً ملك ظالم قهر الناس بسيفه وليس برسول من عند الله ، وقد أقام ثلاثاً وعشرين سنة يدعى أنه رسول الله أرسله إلى الخلق كافة ، ويقول : أمرنى الله بكذا ونهانى عن كذا وأوحى إلى كذا ؛ ولم يكن من ذلك شيء ، ويقول : إنه أباح لى سبى ذرارى مَنْ كذبنى وخالفنى ونساءهم وغنيمة أموالهم وقتل رجالهم ؛ ولم يكن من ذلك شيء ، وهو يدأب فى تغيير دين الأنبياء ومعاداة أممهم ونسخ شرائعهم ، فلا يخلو إما أن تقولوا : إن الله سبحانه كان يَطَّلع على ذلك ويشاهده ويعلمه . أو تقولوا : إنه خفى عنه ولم يعلم به ، فإن قلتم : لم يعلم به نسبتموه إلى أقبح الجهل وكان مَنْ علم ذلك أعلم منه ، وإن قلتم : بل كان ذلك كله بعلمه ومشاهدته واطلاعه عليه فلا يخلو إما أن يكون قادراً على تغييره والأخذ على يديه ومنعه من ذلك أو لا ، فإن لم يكن قادراً فقد نسبتموه إلى أقبح العجز المنافى للربوبية ، وإن كان قادراً وهو مع ذلك يعزه وينصره ويؤيده ويعليه ويعلى كلمته ، ويجيب دعاءه ويمكنه من أعدائه ويظهر على يديه من أنواع المعجزات والكرامات ما يزيد على الألف ولا يقصده أحد بسوء إلا أظفره به ولا يدعوه بدعوة إلا استجابها له فهذا من أعظم الظلم والسفه الذى لا يليق نسبته إلى آحاد العقلاء فضلاً عن رب الأرض والسماء ؛ فكيف وهو يشهد له بإقراره على دعوته وبتأييده وبكلامه وهذه عندكم شهادة زور وكذب .

فلما سمع ذلك قال : معاذ الله أن يفعل الله هذا بكاذب مفتر بل هو نبى صادق مَنْ اتبعه أفلح وسعد . قلت : فما لك لا تدخل فى دينه ؟، قال : إنما بُعث إلى الأميين الذين لا كتاب لهم ، وأما نحن فعندنا كتاب نتبعه . قلت له : غلبت كل الغلب ، فإنه قد علم الخاص والعام أنه أخبر أنه رسول الله إلى جميع الخلق ، وأن من لم يتبعه فهو كافر من أهل الجحيم ، وقاتل اليهود والنصارى وهم أهل كتاب ، وإذا صحت رسالته وجب تصديقه فى كل ما أخبر به ؛ فأمسك ولم يُحِرْ جواباً .

وقريب من هذه المناظرة ما جرى لبعض علماء المسلمين مع بعض اليهود ببلاد المغرب قال له المسلم : فى التوراة التى بأيديكم إلى اليوم أن الله قال لموسى : « إنى أقيم لبنى إسرائيل

من إخوتهم نبياً مثلك أجعل كلامى على فيه ، فمن عصاه انتقمت منه » . قال اليهودى : ذلك يوشع بن نون . فقال المسلم : هذا محال من وجوه : **أحدها** : أنه قال عندك فى آخر التوراة : « أنه لا يقوم فى بنى إسرائيل نبى مثل موسى »[1] .. **الثانى** : أنه قال : « من إخوتهم » وإخوة بنى إسرائيل إما العرب وإما الروم ، فإن العرب بنو إسماعيل والروم بنو العيص ، وهؤلاء إخوة بنى إسرائيل ، فأما الروم فلم يقم منهم نبى سوى أيوب وكان قبل موسى فلا يجوز أن يكون هو الذى بشرت به التوراة ، فلم يبق إلا العرب وهم بنو إسماعيل وهم إخوة بنى إسرائيل ، وقد قال الله فى التوراة حين ذكر إسماعيل جد العرب : « إنه يضع فسطاطه فى وسط بلاد إخوته »[2] وهم بنو إسرائيل ، وهذه بشارة بنبوة ابنه محمد الذى نصب فسطاطه وملك أمته فى وسط بلاد بنى إسرائيل وهى الشام التى هى مظهر ملكه كما تقدم من قوله : « وملكه بالشام » .

فقال له اليهودى : فعندكم فى القرآن ﴿ **وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا** ﴾ [هود : ٨٤] ، ﴿ **وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا** ﴾ [هود : ٥٠] ﴿ **وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا** ﴾ [هود : ٦١] ، والعرب تقول : يا أخا بنى تميم للواحد منهم ، فهكذا قوله : « أقيم لبنى إسرائيل من إخوتهم » قال المسلم : الفرق بين الموضعين ظاهر ؛ فإنه من المحال أن يقال : إن بنى إسرائيل إخوة بنى إسرائيل ، وبنى تميم إخوة بنى تميم ، وبنى هاشم إخوة بنى هاشم ، هذا ما لايعقل فى لغة أمة من الأمم ، بخلاف قولك : زيد أخو بنى تميم ، وهو أخو عاد ، وصالح أخو ثمود أى واحد منهم ، فهو أخوهم فى النسب ، ولو قيل : عاد أخو عاد وثمود أخو ثمود ومدين أخو مدين لكان نقصاً ، وكان نظير قولك بنو إسرائيل إخوة بنى إسرائيل ، فاعتبار أحد الموضعين بالآخر خطأ صريح .

قال اليهودى : فقد أخبر أنه سيقيم هذا النبى لبنى إسرائيل ، ومحمد إنما أقيم للعرب ولم يقم لبنى إسرائيل ، فهذا الاختصاص يشعر بأنه مبعوث إليهم لا إلى غيرهم . قال المسلم : هذا من دلائل صدقه ، فإنه ادعى أنه رسول الله إلى أهل الأرض كتابيهم وأميهم ، ونص الله فى التوراة على أنه يقيمه لهم لئلا يظنوا أنه مرسل إلى العرب والأميين خاصة ، والشىء يُخَص بالذكر لحاجة المخاطب إلى ذكره لئلا يتوهم السامع أنه غير مراد باللفظ العام ولا داخل فيه ، وللتنبيه على أن ما عداه أولى بحكمه ولغير ذلك من المقاصد ، فكان فى تعيين بنى إسرائيل بالذكر إزالة لوهم من توهم أنه مبعوث إلى العرب خاصة ، وقد قال تعالى : ﴿ **لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ** ﴾ [القصص : ٤٦] ، وهؤلاء قومه ولم ينف ذلك أن يكون

(١) سفر التثنية ٣٤ : ١٠ .

(٢) سفر التكوين ١٦ : ١٢ .

نذيراً لغيرهم ، فلو أمكنك أن تذكر عنه أنه ادعى أنه رسول إلى العرب خاصة لكان ذلك حجة ، فأما وقد نطق كتابه وعرف الخاص والعام بأنه ادعى أنه مرسل إلى بنى إسرائيل وغيرهم فلا حجة لك .

قال اليهودى : إن أسلافنا من اليهود كلهم على أنه ادعى ذلك ، ولكن العيسوية[1] منا تزعم أنه نبى العرب خاصة ولسنا نقول بقولهم ، ثم التفت إلى يهودى معه فقال : نحن قد جرى شأننا على اليهودية ، وتالله ما أدرى كيف التخلص من هذا العربى ؛ إلا أنه أقل ما يجب علينا أن نأخذ به أنفسنا النهى عن ذكره بسوء .

كعب الأحبار يتحدث ، واليهود يغون

وقال محمد بن سعد فى « الطبقات » : حدثنا معن بن عيسى[2] ، حدثنا معاوية بن صالح[3] ، عن أبى فروة[4] عن ابن عباس أنه سأل كعب الأحبار : كيف تجد نعت رسول الله ﷺ فى التوراة ؟ قال : نجده « محمد بن عبد الله ، مولده بمكة ، ومهاجره إلى طابة ، ويكون ملكه بالشام ، ليس بفحَّاش ولا صخَّاب بالأسواق ، ولا يكافىء السيئة بالسيئة ، ولكن يعفو ويصفح »[5] ، وقال عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى : حدثنا الحسن بن الربيع[6] ، حدثنا أبو الأحوص[7] ، عن الأعمش[8] ، عن أبى صالح[9] قال : قال كعب : نجد مكتوباً : « محمد رسول الله ، لا فظ ولا غليظ ولا صخاب بالأسواق ولا يجزى بالسيئة

(١) أصحاب أبى عيسى الأصبهانى رجل من اليهود كان بأصبهان ، اسمه محمد بن عيسى ، وهم يقولون بنبوة عيسى ابن مريم ومحمد ﷺ ، ويقولون : إن عيسى بعثه الله إلى بنى إسرائيل على ما جاء فى الإنجيل ، وأنه أحد أنبياء بنى إسرائيل ، ويقولون : إن محمداً نبى أرسله الله بشرائع القرآن إلى بنى إسماعيل وإلى سائر العرب ، كما كان أيوب نبياً فى بنى عيص .. [الفصل فى الملل والأهواء والنحل لابن حزم ٨٢/١] .

(٢) معن بن عيسى بن يحيى ، الأشجعى مولاهم ، أبو يحيى المدنى القزاز ، ثقة ثبت قال أبو حاتم : هو أثبت أصحاب مالك ، من كبار العاشرة ، مات سنة ١٩٨ هـ . [تقريب ٢٦٧/٢] .

(٣) معاوية بن صالح بن حُدَيْر الحضرمى ، أبو عمرو أو أبو عبد الرحمن الحمصى ، قاضى الأندلس صدوق ، ـ أوهام ، من السابعة ، مات سنة ١٥٨ هـ وقيل : بعد السبعين [تقريب ٢٥٩/٢] .

(٤) عروة بن الحارث الهمدانى الكوفى ، أبو فروة الأكبر ، ثقة من الخامسة [تقريب ١٨/٢] .

(٥) ابن سعد فى الطبقات الكبرى [١/ ق ٨٧/٢] .

(٦) الحسن بن الربيع البجلى ، أبو على الكوفى ، البُورانى ، ثقة من العاشرة ، مات سنة ٢٢٠ ، أو سنة ٢٢١ هـ [تقريب ١٦٦/١] .

(٧) سلام بن سليم الحنفى ، مولاهم ، أبو الأحوص الكوفى ، ثقة متقن ، من السابعة ، مات سنة ١٧٩ هـ [تقريب ٣٤٢/١] .

(٨) سليمان بن مهران الأسدى الكاهلى ، أبو محمد الكوفى الأعمش ، ثقة حافظ ، عارف بالقراءة ورع ، لكنه يدلس ، من الخامسة ، مات سنة ١٤٧ أو سنة ١٤٨ هـ ، وكان مولده أول إحدى وستين [تقريب ٣٣١/١] .

(٩) ميسرة ، أبو صالح الكندى الكوفى ، مقبول ، من الثالثة [٢٩١/٢] .

السيئة ولكن يعفو ويغفر ، وأمته الحمادون يكبرون الله على كل نجد[1] ويحمدونه فى كل منزلة ، يأتزرون على أنصافهم ، ويتوضئون على أطرافهم ، مناديهم فى جو السماء ، صفهم فى القتال وصفهم فى الصلاة سواء ، لهم دوى كدوى النحل ، مولده بمكة ، ومهاجره بطابة ، وملكه بالشام »[2].

قال الدارمى : وأخبرنا زيد بن عوف ،[3] حدثنا أبو عوانة ، عن عبد الملك بن عمير ، عن ذكوان بن أبى صالح ، عن كعب قال : فى السطر الأول « محمد رسول الله ، عبدى المختار ، لا فظ ولا غليظ ، ولا صخاب بالأسواق ، ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ، مولده بمكة ، وهجرته بطيبة ، وملكه بالشام » .

وفى السطر الثانى : « محمد رسول الله ، أمته الحمادون يحمدون الله فى كل حال ومنزلة ، ويكبرونه على كل شرف ، رعاة الشمس ، يصلون الصلاة إذا جاء وقتها ولو كانوا على رأس كناسة ، يأتزرون على أوساطهم ، ويوضئون أطرافهم ، وأصواتهم بالليل فى جو السماء كأصوات النحل »[4].

وقال عاصم بن عمر بن قتادة ، عن نملة بن أبى نملة ، عن أبيه قال : كانت يهود بنى قريظة يدرسون ذكر رسول الله ﷺ فى كتبهم ، ويعلمون الولدان صفته واسمه ومهاجره ، فلما ظهر حسدوا وبغوا وأنكروا .

وذكر أبو نعيم فى « **دلائل النبوة** » من حديث سليمان بن سحيم رَوْبَيْح بن عبد الرحمن كلاهما عن عبد الرحمن بن أبى سعيد الخدرى عن أبيه ، قال : سمعت أبى مالك بن سنان يقول : جئت بنى عبد الأشهل يوماً لأتحدث فيهم ونحن يومئذ فى هدنة من الحرب ، فسمعت يوشع اليهودى يقول : أظل خروج نبى يقال له: أحمد يخرج من الحرم . فقال له خليفة بن ثعلبة الأشهلى كالمستهزىء به : ما صفته ؟ فقال : رجل ليس بالقصير ولا بالطويل ، فى عينيه حمرة ، يلبس الشَّمْلة[5]، ويركب الحمار ، وهذا البلد مهاجره . قال : فرجعت إلى قومى بنى حُذْرة وأنا يومئذ أتعجب مما يقول يوشع ، فأسمع رجلاً منا يقول : هذا وحده يقوله ؟! كل يهود يثرب تقول هذا ، قال أبى : فخرجت حتى جئت يهود بنى قريظة فتذاكروا النبى ﷺ ، فقال الزبير بن باطا : قد طلع الكوكب الأحمر الذى لم يطلع إلا بخروج نبى وظهوره ، ولم يبق أحد إلا أحمد ، هذه مهاجره ، قال أبو سعيد : فلما قد رسول الله ﷺ المدينة أخبره أبى هذا الخبر ، فقال النبى ﷺ : « **لو أسلم الزبير وذووه من رؤساء يهود لأسلمت**

(١) النَّجْد : ما ارتفع من الأرض وصَلُب .

(٢) الدارمى فى سننه . باب صفة النبى فى الكتب قبل مبعثه [١/٤ ، ٥] .

(٣) فهد بن عوف أبو ربيعة ويقال : زيد ، بصرى عن حماد بن سلمة قال الذهبى : تركوه [الضعفاء ، والمتروكون ٢٣٣] .

(٤) الدارمى فى سننه . باب صفة النبى فى الكتب قبل مبعثه [١/٥ ، ٦] .

(٥) الشَّمْلة : كساء من صوف أو شعر يتغطى ويتلفف به .

يهود كلها إنما هم لهم تبع » .

وقال النضر بن سلمة[1] : حدثنا يحيى بن إبراهيم ، عن صالح بن محمد ، عن أبيه ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد ، عن محمد بن مسلمة قال : لم يكن فى بنى عبد الأشهل إلا يهودى واحد يقال له : يوشع ، فسمعته يقول وإنى لغلام : قد أظلكم خروج نبى يبعث من نحو هذا البيت ، ثم أشار بيده إلى نحو بيت الله الحرام ، فمن أدركه فليصدقه ، فَبُعث رسول الله ﷺ فأسلمنا وهو بين أظهرنا ولم يسلم حسداً وبغياً .

قال النضر : وحدثنا عبد الجبار بن سعيد ، عن أبى بكر بن عبد الله العامرى[2] ، عن مسلم ابن يسار ، عن عمارة بن خزيمة بن ثابت ، قال : ما كان فى الأوس والخزرج رجل أوصف لمحمد ﷺ من أبى عامر الراهب ، كان يألف اليهود ويسائلهم عن الدين ويخبرونه بصفة رسول الله ﷺ ، وأن هذه دار هجرته ، ثم خرج إلى يهود تيماء فأخبروه بمثل ذلك ، ثم خرج إلى الشام فسأل النصارى فأخبروه بصفة رسول الله ﷺ ، وأن مهاجره يثرب ، فرجع أبو عامر وهو يقول : أنا على دين الحنيفية ، وأقام مترهباً وليس المسوح ، وزعم أنه على دين إبراهيم وأنه ينتظر خروج النبى ، فلما ظهر رسول الله ﷺ بمكة لم يخرج إليه وأقام على ما كان عليه .

فلما قدم النبى ﷺ المدينة حسده وبغى ونافق ، وأتى النبى ﷺ فقال : يا محمد .. بم بُعثت ؟ قال : « **بالحنيفية** » قال : أنت تخلطها بغيرها ؟ فقال النبى ﷺ : « **أتيت بها بيضاء ، أين ما كان يخبرك الأحبار من اليهود والنصارى من صفتى ؟** » فقال : لست الذى وصفوا ، فقال النبى ﷺ : « **كذبت** » . فقال : ما كذبت ، فقال رسول الله ﷺ : « **الكاذب أماته الله وحيداً طريداً** » ، قال : آمين ، ثم رجع إلى مكة وكان مع قريش يتبع دينهم وترك ما كان عليه ، فلما أسلم أهل الطائف لحق بالشام فمات بها طريداً غريباً وحيداً .

أخبار من السابقين عن محمد الأمين خاتم النبيين

وقال الواقدى : حدثنى محمد بن سعد الثقفى وعبد الرحمن بن عبد العزيز فى جماعة كُلٌّ حدثنى بطائفة من الحديث ، عن المغيرة بن شعبة أنه دخل على المقوقس وأنه قال له : إن محمداً نبى مرسل ، ولو أصاب القبط والروم اتبعوه . قال المغيرة : فأقمت بالأسكندرية لأدع كنيسة إلادخلتها وسألت أساقفتها من قبطها وورومها عما يجدون من صفة محمد ﷺ .

وكان أسقف من القبط وهو رأس كنيسة أهل محنس كانوا يأتونه بمرضاهم فيداويهم ويدعو

---

(١) النضر بن سلمة شاذان ، قال أبو حاتم : كان يفتعل الحديث ، وأثنى عليه أبو عروبة خيراً . وقال ابن حبان : لا تحل الرواية عنه إلا للاعتبار [الضعفاء والمتروكون]

(٢) أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أبى سَبْرة بن عبد العزى القرشى العامرى المدنى ، رموه بالوضع من السابقة ، مات سنة ١٦٢ هـ [تقريب ٢/٣٩٧] .

لهم ، لم أر أحداً قط لا يصلى الخمس أشد اجتهاداً منه ، فقلت : أخبرنى هل بقى أحد من الأنبياء ؟ قال : نعم وهو آخرهم ليس بينه وبين عيسى أحد وهو نبى قد أمرنا عيسى باتباعه ، وهو النبى الأمى العربى ، اسمه أحمد ، ليس بالطويل ولا بالقصير ، فى عينيه حمرة ، وليس بالأبيض ولا بالأدم ، يعفى شعره ، ويلبس ما غلظ من الثياب ، ويجتزى بما لقى من الطعام ، سيفه على عاتقه ولا يبالى من لاقى ، يباشر القتال بنفسه ، ومعه أصحابه يفدونه بأنفسهم هم له أشد حباً من أولادهم وآبائهم ، يخرج من أرض القرظ[1] ، ومن حرم يأتى وإلى حرم يهاجر إلى إرض مسبخة ونخل ، يدين بدين إبراهيم ، يأتزر على وسطه ، ويغسل أطرافه ، ويخص بما لم يخص به الأنبياء قبله ، وكان النبى يبعث إلى قومه ويبعث إلى الناس كافة ، وجعلت له الأرض مسجداً وطهوراً أينما أدركته الصلاة تيمم وصلى ، ومن كان قبلهم مشدد عليهم لا يصلون إلا فى الكنائس والبيع .

وقال الطبرانى : حدثنا على بن عبد العزيز ، حدثنا عبد الله بن رجاء ، حدثنا المسعودى عن نفيل بن هشام بن سعيد بن زيد ، عن أبيه ، عن جده سعيد بن زيد ، أن زيد بن عمرو وورقة بن نوفل خرجا يلتمسان الدين حتى انتهيا إلى راهب بالموصل ، فقال لزيد : من أين أقبلت ؟ قال : من بيت إبراهيم ، قال : وما تلتمس ؟ قال : ألتمس الدين ، قال : ارجع فإنه يوشك أن يظهر الذى تطلب فى أرضك ، فرجع وهو يقول : « لبيكَ حقًّا حقًّا تعبُّداً ورِقًّا .... »[2] .

وقال ابن قتيبة فى كتاب الأعلام : حدثنى يزيد بن عمرو ، حدثنا العلاء بن الفضل[3] ، حدثنى أبى ، عن أبيه عبد الملك بن أبى سوية ، عن أبى سوية ، عن أبيه خليفة بن عبدة المنقرى ، قال : سألت محمد بن عدى : كيف سَمَّاك أبوك عدى محمداً ؟ قال : أما إنى قد سألت أبى عما سألتنى عنه ، فقال : خرجت رابع أربعة من بنى تميم أنا أحدهم ومجاشع ابن دارم ويزيد بن عمرو بن ربيعة وأسامة بن مالك بن جندب نريد ابن جفنة الغسانى ، فلما قدمنا الشام نزلنا على غدير فيه شجيرات وقربه دَيْرَانى[4] فأشرف علينا ، وقال : إن هذه اللغة ما هى لأهل هذه البلد ، قلنا : نعم نحن قوم من مضر ، قال : من أى المضريين ؟ قلنا : من خندف ، قال : أما إنه سيبعث فيكم وشيكاً نبى فسارعوا إليه وخذوا بحظكم منه ترشدوا ، فإنه خاتم النبيين ، واسمه محمد ، فلما انصرفنا من عند ابن جفنة الغسانى وصرنا إلى أهلنا ولد لكل رجل منا غلام فسماه محمداً .

---

(١) شجر عِظَامٌ لها سُوقٌ غِلاظ أمثال شجر الجوز وهى نوع من أنواع السَّنْط العربى ، يستخرج منه صمغ مشهور .

(٢) انظر البداية والنهاية لابن كثير [٢٣٩/٢] .

(٣) العلاء بن الفضل بن عبد الملك المنقرى ، أبو الهذيل ، البصرى ، ضعيف من صغار التاسعة ، مات سنة ٢٢٠ هـ [تقريب ٩٣/٢] .

(٤) الدَّيْرَانى : صاحب الدَّيْر الذ

وقال الإمام أحمد : حدثنا روح ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن عطاء بن السائب ، عن أبى عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن أبيه ، قال : دخل رسول الله ﷺ الكنيسة فإذا هو بيهود ، وإذا بيهودى يقرأ عليهم التوراة ، فلما أتوا على صفة النبى ﷺ أمسكوا ، وفى ناحيتها رجل مريض ، فقال النبى ﷺ : « **ما لكم أمسكتم ؟** » قال المريض : إنهم أتوا على صفة نبى فأمسكوا ، ثم جاء المريض يحبو حتى أخذ التوراة فقرأ حتى أتى على صفة النبى ﷺ ، فقال : هذه صفتك وصفة أمتك ، أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ، ثم مات ، فقال النبى ﷺ لأصحابه : « **خذوا أخاكم** »[1] .

قال محمد بن سعد : حدثنا محمد بن عمر ، قال : حدثنى سليمان بن داود بن الحصين عن أبيه ، عن عكرمة عن ابن عباس ، عن أُبى بن كعب قال : لما قدم « تُبَّع » المدينة ونزل بقباء بعث إلى أحبار اليهود فقال : إنى مخرب هذا البلد حتى لا تقوم بها يهودية ويرجع الأمر إلى العرب ، فقال له شموال اليهودى[2] ـ وهو يومئذ أعلمهم ـ : أيها الملك ، إن هذا بلد يكون إليه مهاجر نبى من بنى إسماعيل ، مولده بمكة ، اسمه أحمد ، وهذه دار هجرته ، وإن منزلك هذا الذى أنت به يكون به من القتل والجراح كثير فى أصحابه وفى عدوهم ، قال تبع : ومن يقاتله يومئذ وهو نبى كما تزعمون ، قال : يسير إليه قومه فيقتتلون هٰهنا ، قال : فأين قبره ، قال : بهذا البلد ، قال : فإذا قوتل لمن تكون الدائرة ؟ قال : تكون له مرة وعليه مرة ، وبهذا المكان الذى أنت به تكون عليه ويقتل أصحابه قتلاً لم تقتلوه فى موطن ثم تكون له العاقبة ويظهر فلا ينازعه هذا الأمر أحد ، قال : وما صفته ؟ قال : رجل ليس بالطويل ولا بالقصير ، فى عينيه حمرة ، يركب البعير ، ويلبس الشملة ، سيفه على عاتقه ، لا يبالى من لاق من أخ أو ابن عم أو عم حتى يظهر أمره . قال تبع : ما إلى هذه البلدة من سبيل ، وما يكون خرابها على يدى ، فخرج تبع منصرفاً إلى اليمن ، قال يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه : لم يمت تبع حتى صدق بالنبى ﷺ لما كان يهود يثرب يخبرونه ، وإن تبع مات مسلماً[3] .

وقال محمد بن سعد : حدثنا محمد بن عمر ، حدثنى عبد الحميد بن جعفر عن أبيه ، قال : كان الزبير بن باطا ـ وكان أعلم اليهود ـ يقول : إنى وجدت سِفراً كان أبى يكتمه علىّ فيه ذكر أحمد نبى يخرج بأرض القَرَظ ، صفته كذا وكذا ، فتحدث به الزبير بعد أبيه والنبى ﷺ لم يبعث بعد فما هو إلا أن سمع بالنبى ﷺ قد خرج بمكة فعمد إلى ذلك

(١) ضعيف . أحمد فى المسند [٤١٦/١] وضعيف الجامع للألبانى [٤٧٩٣] .

(٢) فى الطبقات الكبرى « سامول اليهودى » .

(٣) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد [١٠٣/١ ، ١٠٤] والسيرة النبوية [١٣/١ - ١٧] والبداية والنهاية [١٦٣/٢ - ١٦٦] وقد ورد حديث صحيح فى إسلامه عن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال : « لا تسبوا تبعا ، فإنه كان قد أسلم » .

السفر فمحاه وكتم شأن النبى ﷺ وصفته ، وقال : ليس به[1].

قال محمد بن عمر : حدثنى الضحاك بن عثمان ، عن مخرمة بن سليمان ، عن كريب عن ابن عباس ، قال : كان يهود قريظة والنضير وفدك وخيبر يجدون صفة النبى ﷺ عندهم قبل أن يُبعث ، وإن دار هجرته المدينة ، فلما ولد رسول الله ﷺ قالت أحبار يهود : وُلد أحمد الليلة ، هذا الكوكب قد طلع ، فلما تنبأ أحمد [قالوا : قد تنبأ أحمد] قد طلع الكوكب . وكانوا يعرفون ذلك ويقرون به ويصفونه فما منعهم إلا الحسد والبغى[2].

وقال محمد بن سعد : أخبرنا على بن محمد عن أبى عبيدة بن عبد الله بن أبى عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر وغيره ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : سكن يهودى بمكة يبيع بها تجارات ، فلما كانت ليلة ولد رسول الله ﷺ قال فى مجلس من مجالس قريش : هل كان فيكم من مولود هذه الليلة ؟ قالوا : لا نعلمه ، قال : انظروا يا معشر قريش وأحصوا ما أقول لكم ، وُلد هذه الليلة نبى هذه الأمة أحمد ، وبه شامة بين كتفيه فيها شعرات ، فتصدع القوم من مجالسهم وهم يعجبون من حديثه ، فلما صاروا فى منازلهم ذكروه لأهليهم فقيل لبعضهم : وُلد لعبد الله بن عبد المطلب الليلة غلام وسماه محمداً ، فأتوا اليهودى فى منزله فقالوا : علمت أنه وُلد فينا غلام ، فقال : أبعد خبرى أم قبله ؟ فقالوا : قبله ، واسمه أحمد ، قال : فاذهبوا بنا إليه ، فخرجوا حتى أتوا أمه فأخرجته إليهم فرأى الشامة فى ظهره فغشى على اليهودى ثم أفاق ، فقالوا : ما لك ؟ ويلك ! فقال : ذهبت النبوة من بنى إسرائيل ، وخرج الكتاب من أيديهم ، فازت العرب بالنبوة ، أفرحتم يا معشر قريش ؟! أما والله ليسطون بكم سطوة يخرج نبؤها من المشرق إلى المغرب[3].

قال ابن سعد : وأخبرنا على بن محمد عن على بن مجاهد[4] عن محمد بن إسحاق ، عن سالم مولى عبد الله بن مطيع ، عن أبى هريرة ، قال : أتى رسول الله ﷺ بيت المِدْرَاس[5]، فقال : « **أخرجوا إلَىَّ أعلمكم** » ، فقالوا : عبد الله بن صوريا ، فخلا به رسول الله ﷺ فناشده بدينه وبما أنعم الله عليهم وأطعمهم من المن والسلوى وظللهم من الغمام : « **أتعلم أنى رسول الله ؟** » قال : اللهم نعم وإن القوم ليعرفون ما أعرف ، وإن صفتك ونعتك لمبين فى التوراة ولكن حسدوك ، قال : « **فما يمنعك أنت ؟** » قال : أكره خلاف قومى عسى أن يتبعوك ويسلموا فأسلم[6].

---

(١) ابن سعد فى الطبقات [١٠٤/١] .

(٢) ابن سعد فى الطبقات [١٠٤/١] والزيادة التى بين المعكوفتين من الطبقات كى يستقيم المعنى .

(٣) رواه الحاكم فى مستدركه وصححه ورَدَّه الذهبى بقوله : لا [٦٠١/٢ ، ٦٠٢] وانظر الطبقات الكبرى لابن سعد [١٠٦/١ ، ١٠٧] .

(٤) على بن مجاهد بن مسلم القاضى ، الكابُلى متروك من التاسعة وليس فى شيوخ أحمد أضعف منه ، مات سنة ١٨٠ هـ [تقريب ٤٣/٢] .

(٥) المدراس : الموضع يدرس فيه كتاب الله ، ومنه مِدْراس اليهود ، والمدراس : دارس كتب اليهود .

(٦) ابن سعد فى الطبقات [١٠٨/١] .

وقال أبو الشيخ الأصبهانى : حدثنا أبو يحيى الرازى ، حدثنا سهل بن عثمان ، حدثنا على ابن مسهر ، عن داود عن الشعبى[1] قال : قال عمر بن الخطاب : كنت آتى اليهود عند دراستهم التوراة فأعجب من موافقة التوراة للقرآن وموافقة القرآن للتوراة ، فقالوا : يا عمر ما أحد أحب إلينا منك لأنك تغشانا ، قلت : إنما أجىء لأعجب من تصديق كتاب الله بعضه بعضاً ، فبينا أنا عندهم ذات يوم إذ مر رسول الله ﷺ فقالوا : هذا صاحبك ، فقلت : أنشدكم الله وما أنزل عليكم من الكتاب أتعلمون أنه رسول الله ؟ فقال سيدهم : قد نشدكم الله فأخبروه ، فقالوا : أنت سيدنا فأخبره ، فقال : إنا نعلم أنه رسول الله ، قلت : فإنى أهلككم إن كنتم تعلمون أنه رسول الله لِمَ لَمْ تتبعوه ؟ قالوا : إن لنا عدواً من الملائكة وسلماً من الملائكة ، عدونا هو جبريل وهو ملك الفظاظة والغلظة ، وسلمنا ميكائيل وهو ملك الرأفة واللين . قلت : فإنى أشهد ما يحل لجبريل أن يعادى سلم ميكائيل ولا لميكائيل أن يعادى سلم جبريل ولا أن يسالم عدوه ، ثم قمت فاستقبلنى رسول الله ﷺ فقال : « **ألا أقرئك آيات نزلت من قبل** » ، فتلا : ﴿ **مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ** ﴾ [البقرة : ٩٧] الآية ، فقلت : والذى بعثك بالحق ما جئت إلا لأخبرك بقول اليهود . قال عمر : فلقد رأيتنى أشد فى دين الله من حجر .

وذكر أبو نعيم من حديث عمرو بن عبسة قال : رغبت عن آلهة قومى فى الجاهلية ، وعرفت أنها على الباطل يعبدون الحجارة وهى لا تضر ولا تنفع فلقيت رجلاً من أهل الكتاب فسألته عن أفضل الدين ؟ فقال : يخرج رجل من مكة ويرغب عن آلهة قومه يأتى بأفضل الدين ، فإذا سمعت به فاتبعه ، فلم يكن لى هَمٌّ إلا مكة آتيها فأسأل : هل حدث فيها خبر ؟ فيقولون : لا . فأنصرف إلى أهلى وأعترض الركبان فأسألهم فيقولون : لا ، فإنى لقاعد إذ مر لى راكب فقلت : من أين جئت ؟ قال : من مكة ، قلت : هل حَدَثَ حَدَثٌ فيها ؟ قال : نعم . رجل رغب عن آلهة قومه ودعا إلى غيرها ، قلت : صاحبى الذى أريد فشددت راحلتى وجئت فأسلمت .

وقال عبد الله بن سعيد : حدثنا موسى بن عبد الرحمن ، عن ابن جريج ، عن عطاء عن ابن عباس وعن مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس : أن ثمانية من أساقفة نجران قدموا على رسول الله ﷺ منهم « العاقب » و « السيد » فأنزل الله تعالى : ﴿ **فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ** ﴾ [آل عمران : ٦١] الآية . فقالوا : أخرنا ثلاثة أيام ، فذهبوا إلى بنى قريظة والنضير وبنى قينقاع فاستشاروهم فأشاروا عليهم أن يصالحوه ولا يلاعنوه ، وهو النبى الذى نجده فى التوراة والإنجيل ، فصالحوا النبى ﷺ

(١) عامر بن شراحيل الشعبى ، أبو عمرو ، ثقة مشهور ، فقيه فاضل من الثالثة ، مات بعد المائة ، وله نحو من ثمانين [تقريب ٣٨٧/١] ومن هنا يتضح أن هذا الأثر ضعيف السند ، وعلة ذلك ـ كما ذكر ابن كثير أن هناك انقطاعاً بين الشعبى وعمر فإنه لم يدرك زمانه . [تفسير ابن كثير ١٣١/١ - ١٣٢] .

على ألف حلة فى صفر ، وألف حلة فى رجب ودراهم[1] .

وقال يونس بن بكير عن قيس بن الربيع ، عن يونس بن أبى سالم ، عن عكرمة : أن ناساً من أهل الكتاب آمنوا بمحمد ﷺ قبل أن يُبعث فلما بُعث كفروا به ، فذلك قوله تعالى : ﴿ **فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُم أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُم فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُم تَكْفُرُونَ** ﴾[2] [آل عمران : ١٠٦] .

وقال ابن سعد : حدثنا محمد بن إسماعيل بن أبى فديك عن موسى بن يعقوب الزمعى عن سهل مولى عثمة أنه كان نصرانياً وكان يتيماً فى حجر عمه وكان يقرأ الإنجيل ، قال : فأخذت مصحفاً لعمى فقرأته حتى مرت بى ورقة أنكرت كثافتها ، فإذا هى ملصقة ففتقتها فوجدت فيها نعت محمد ﷺ « أنه لا قصير ولا طويل ، أبيض ، بين كتفيه خاتم النبوة ، يكثر الاحتباء ولا يقبل الصدقة ، ويركب الحمار والبعير ، ويحتلب الشاه ويلبس قميصاً مرقعاً وهو من ذرية إسماعيل اسمه أحمد » ، قال : فجاء عمى فرأى الورقة فضربنى ، وقال : مالك وفتح هذه الورقة ؟ فقلت : فيها نعت النبى أحمد ، فقال : إنه لم يأت بعد .

وقال وهب : أوحى الله إلى إشعياء النبى : «إنى مبتعث نبياً أفتح به آذاناً صماً وقلوباً غلفاً ، أجعل السكينة لباسه ، والبر شعاره ، والتقوى ضميره ، والحكمة معقوله ، والوفاء والصدق طبيعته ، والعفو والمغفرة والمعروف خلقه ، والعدل سيرته ، والحق شريعته ، والهدى أمامه ، والإسلام ملته ، وأحمد اسمه ، أهدى به بعد الضلالة ، وأعلم به بعد الجهالة ، وأكثر به بعد القلة ، وأجمع به بعد الفرقة ، وأؤلف به بين قلوب مختلفة وأهواء متشتتة وأمم مختلفة ، وأجعل أمته خير أمة ، وهم رعاة الشمس ، طوبى لتلك القلوب »[3] .

وذكر ابن أبى الدنيا من حديث عثمان بن عبد الرحمن : أن رجلاً من أهل الشام من النصارى قدم مكة ، فأتى على نسوة قد اجتمعن فى يوم عيد من أعيادهم وقد غاب أزواجهن فى بعض أمورهم ، فقال : يا نساء تيماء إنه سيكون فيكم نبى يقال له : أحمد ، أيتما امرأة منكن استطاعت أن تكون له فراشاً فلتفعل ، فحفظت خديجة حديثه .

وقال عبد المنعم بن إدريس ، عن أبيه[4] ، عن وهب ، قال فى قصة داود ،ومما أوحى الله إليه فى الزبور : « يا داود إنه سيأتى من بعدك نبى يسمى أحمد ومحمد ، صادقاً سيداً ، لا أغضب عليه أبداً ولا يغضبنى أبداً ، قد غفرت له قبل أن يعصينى ما تقدم من ذنبه

(١) انظر تعليقا سابقا على سبب نزول هذه الآية .

(٢) إسناده ضعيف ، يونس بن بكير ، يخطىء ، من التاسعة [تقريب ٣٨٤/٢] وقيس بن الربيع صدوق تغير لما كبر ، وأدخل عليه ابنه ما ليس من حديثه فحدث به [تقريب ١٢٨/٢] .

(٣) انظر البداية والنهاية لابن كثير [٢٠٤/٦] .

(٤) عبد المنعم بن إدريس بن سنان ، سكن بغداد ، وأبو متروك ، عن وهب بن منبه . قال أحمد : كان يكذب على وهب وقال ابن حبان : يضع الحديث على أبيه وغيره [الضعفاء والمتروكين ٣٥٩ الضعفاء الكبير ١١٢/٣] .

وما تأخر ، وأمته مرحومة ، أعطيتهم من النوافل مثل ما أعطيت الأنبياء ، وافترضت عليهم الفرائض التى افترضت على الأنبياء والرسل ، حتى يأتونى يوم القيامة ونورهم مثل نور الأنبياء ، وذلك أنى أفترضت عليهم أن يتطهروا لكل صلاة ، كما افترضت على الأنبياء قبلهم ، وأمرتهم بالغسل من الجنابة كما أمرت الأنبياء قبلهم ، وأمرتهم بالحج كما أمرت الأنبياء قبلهم ، وأمرتهم بالجهاد كما أمرت الرسل من قبلهم . يا داود إنى فضلت محمداً وأمته على الأمم كلها ، أعطيتهم ست خصال لم أعطها غيرهم من الأمم ؛ لا أؤاخذهم بالخطأ والنسيان ، وكل ذنب ركبوه على غير عمد إذا استغفرونى منه غفرته لهم ، وما قدموا لآخرتهم من شيء طيبة به أنفسهم عجلته لهم أضعافاً مضاعفة أفضل من ذلك ، ولهم فى المدخور عندى أضعاف مضاعفة أفضل من ذلك ، وأعطيتهم على المصائب إذا صبروا واسترجعوا الصلاة والرحمة والهدى فإن دعونى استجبت لهم ، يا داود من لقينى من أمة محمد يشهد أن لا إله إلا أنا وحدى لا شريك لى صادقاً بها فهو معى فى جنتى وكرامتى ، ومن لقينى وقد كذب محمداً أو كذب بما جاء به واستهزأ بكتابى صببت عليه فى قبره العذاب صباً وضربت الملائكة وجهه ودبره عند منشره فى قبره ثم أدخله فى الدرك الأسفل من النار »[1] .

وقال عفّان : حدثنا همام عن قتادة ، عن زرارة بن أبى أوفى ، عن مطرف بن مالك ، أنه قال : شهدت فتح تستر[2] مع الأشعرى فأصبنا قبر دانيال بالسوين[3] ، وكانوا إذا أجدبوا خرجوا فاستسقوا به فوجدوا معه رقعة فطلبها نصرانى من الحيرة يسمى نعيماً فقرأها وفى أسفلها « وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ » [آل عمران : ٨٥] ، فأسلم منهم يومئذ اثنان وأربعون حَبْراً ، وذلك فى خلافة معاوية فأتحفهم معاوية وأعطاهم[4] . قال همام : فأخبرنى بسطام بن مسلم أن معاوية بن قرة قال : تذاكرنا الكتاب إلى ما صار فمر علينا شهر بن حوشب فدعوناه فقال : على الخبير سقطتم ، إن الكتاب كان عند كعب فلما احتضر قال : ألا رجل ائتمنه على أمانة يؤديها ؟ قال شهر : فقال ابن عم لى يكنى أبا لبيد : أنا ، فدفع إليه الكتاب ، فقال : إذا بلغت موضع كذا فاركب قرقوراً[5] ثم اقذف به فى البحر ففعل ، فانفرج الماء فقذفه فيه ورجع إلى كعب

---

(٢) تُستَر : أعظم مدينة بخوزستان وهو تعريب شُوستر ، والشوشتر مدينة بخوزستان تعريب شوش انظر البداية والنهاية لابن كثير [٧٣/٦] . ومعناه النزه والحسن والطيب بخوزستان أنهار كثيرة وأعظمها نهر تُستر ، وقد فتحت فى عهد عمر على يد أبى موسى الأشعرى [معجم البلدان ٣٨٧/٢ - ٣٨٩] .

(٣) هكذا وردت فى المخطوطة وهو خطأ والصواب كما ورد فى كتب التاريخ كالبداية والنهاية والكامل وتاريخ الطبرى « السوس » وهى بلدة بخوزستان فيها قبر النبى دانيال عليه السلام .

(٤) انظر دلائل النبوة للبيهقى [٣٩٠/١ ، ٣٩١] .

(٥) القُرْقُور : السفينة الطويلة العظيمة . والجمع : قراقير .

فأخبره فقال : صدقت إنه من التوراة التى أنزلها الله عز وجل[1] .

أمية بن أبى الصلت تمنى النبوة وطمع فيها

فصل : ومن ذلك « أخبار أمية بن أبى الصلت الثقفى »[2] ونحن نذكر بعضها . قال الزبير ابن بكار : حدثنى عمى مصعب ، عن مصعب بن عثمان ، قال : كان أمية قد نظر فى الكتب وقرأها ولبس المسوح تعبداً ، وكان ممن ذكر إبراهيم وإسماعيل والحنيفية وحرم الخمر والأوثان والتمس الدين ، وطمع فى النبوة لأنه قرأ فى الكتب أن نبياً يُبعث من العرب فكان يرجو أن يكون هو فلما بعث الله محمداً ﷺ قيل له : هذا الذى كنت تبشر به وتقول فيه ، فحسده عدو الله وقال : أنا كنت أرجو أن أكون هو ، فأنزل الله عز وجل فيه : ﴿ **وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِى آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ** ﴾ [الأعراف : ١٧٥] ، وهو الذى يقول :

كل دين يوم القيامة عند الله إلا دين الحنيفة زور

قال الزبير : وحدثنى عمر بن أبى بكر الموصلى ، قال : كان أمية بن أبى الصلت يلتمس الدين ويطمع فى النبوة فخرج إلى الشام فمر بكنيسة ، وكان معه جماعة من العرب من قريش وغيرهم فقال أمية : إن لى حاجة فى هذه الكنيسة فانتظرونى ، فدخل الكنيسة ثم خرج إليهم كاسفاً[3] متغيراً فرمى بنفسه ، فأقاموا عليه حتى سرى عنه ثم مضوا فقضوا حوائجهم .

ثم رجعوا فلما صاروا إلى الكنيسة قال لهم : انتظرونى ودخل الكنيسة فأبطأ ثم خرج أسوأ من حاله الأول ، فقال له أبو سفيان بن حرب : قد شققت على رفقتك ، فقال : خلونى فإنى أرتاد لنفسى وأطلب لمعادى ، وإن ههنا راهباً عالماً أخبرنى أنه سيكون بعد عيسى ست رجفات وقد مضت منها خمس وبقيت واحدة ، فخرجت وأنا أطمع أن أكون نبياً وأخاف أن يخطئنى فأصابنى ما رأيت ، فلما رجعت أتيته فقال : قد كانت الرجفة وقد بُعث نبى من العرب فأيست من النبوة فأصابنى ما رأيت إذ فاتنى ما كنت أطمع فيه .

قال : وقال الزهرى : خرج أمية فى سفر فنزلوا منزلاً ، قام أمية وجهاً وصعد فى كثيب فرفعت له كنيسة فانتهى إليها فإذا شيخ جالس ، فقال لأمية حين رآه : إنك لمتبوع فمن أين يأتيك رئيك[4] قال : من شقى الأيسر ، قال : فأى الثياب أحب إليه أن تلقاه فيها ؟ قال : السواد ، قال : كدت تكون نبى العرب ولست به ، هذا خاطر من الجن وليس بملك

---

(١) انظر دلائل النبوة للبيهقى [١/٣٩١] .

(٢) الكاسف : يقال : يوم كاسف : عظيم الهول ، شديد الشر .

(٣) الرئىُ : الجنى يعرض للإنسان ويطلق على ما يزعم من الغيب .

(٤) [انظر ترجمته فى البدايه والنهاية ٢/٢٢٠ -] والشعر والشعراء [٢/٤٥٩ - ٤٦٢] [وطبقات فحول الشعراء ١/٢٦٢ - ٢٦٧] .

وإن نبى العرب صاحب هذا الأمر يأتيه الملك من شقه الأيمن ، وأحب الثياب إليه أن يلقاه فيها البياض ، قال الزهرى : وأتى أمية أبا بكر فقال له : يا أبا بكر عُمِّىَ الخبر ، فهل أحسست شيئاً ؟ قال : لا والله ، قال : قد وجدته يخرج فى هذا العام . وقال عمر بن شبة : سمعت خالد بن يزيد يقول : إن أمية وأبا سفيان بن حرب صحبانى فى تجارة إلى الشام ، فذكر نحو الحديث الأول ، وزاد فيه : فخرج من عند الراهب وهو ثقيل ، فقال له أبو سفيان : إن بك لشراً فما قضيتك ؟ قال : خير ، أخبرنى عن عتبة بن ربيعة كم سِنُّه ؟ فذكر سنا ، قال : أخبرنى عن ماله ، فذكر مالاً ، فقال له : وضعته ، قال أبو سفيان : بل رفعته ، فقال : إن صاحب هذا الأمر ليس بشيخ ولا ذى مال ، قال : وكان الراهب أيأسه وأخبره أن الأمر لرجل من قريش[1] .

قال الزبير : وحدثنى عمر بن أبى بكر الموصلى ، قال : حدثنى رجل من أهل الكوفة ، قال : كان أمية نائماً فجاءه طائران فوقع أحدهما على باب البيت ودخل الآخر فشق عن قلبه ثم رده الطائر ، فقال له الطائر الآخر : أوعى ؟ قال : نعم ، قال : أزكى ؟ قال : أبى[2] .

وقال الزهرى : دخل يوماً أمية بن أبى الصلت على أخته وهى تهنأ أُدُماً لها[3] فأدركه النوم فنام على سرير فى ناحية البيت ، قالت : فانشق جانب من السقف فى البيت وإذا بطائرين قد وقع أحدهما على صدره ووقف الآخر مكانه ، فشق الواقع صدره فأخرج قلبه فشقه ، فقال الطائر الآخر للذى على صدره : أوَعَى ؟، قال : وَعَى ، قال : أُقبِلَ ؟، قال : أبى ، قال : فرد قلبه فى موضعه ثم مضى فأتبعهما أمية طرفه وقال :

لَبَّيْكُما لَبَّيْكُمـــا ها أنا ذا لَدَيْكُما

لا برىء فأعتذر ولا ذو عشيرة فأنتصر ، فرجع الطائر فوقع على صدره فشقه حتى أخرج قلبه فشقه ، فقال الطائر الأعلى للواقع : أوعى ؟ قال : وعى ، قال : أقبل ؟ قال : أبى ، ونهض فأتبعهما أمية بصره فقال :

لَبَّيْكُما لَبَّيْكُمـــا ها أنا ذا لَدَيْكُما

لا مال لى يغنينى ولا عشيرة تحمينى ، فرجع الطائر فوقع على صدره فشقه ثم أخرج قلبه فشقه فقال الطائر الأعلى : أوعى ؟ قال : وعى ، قال : أقبل ؟ قال : أبى ، ونهض فأتبعه أمية بصره ، فقال :

---

(١) انظر البداية والنهاية [٢/٢٢٤] .

(٢) انظر البداية والنهاية [٢/٢٢٤] .

(٣) يقال : هَنَأَ فلاناً : أعطاه طعاماً أو نحوه ، وهنأ الطعام الرجل وَهنِىءَ له الطعام ، وَهنِىءَ من الطعام : شبع . ساغ ولذَّ له . والأدم مفردها أديم وهو الطعام .

لَبَّيْكُما لَبَّيْكُمـا ها أنا ذا لَدَيْكُما

بالنعم مَحْفُود ، من الذنب مَخْضود[1]، قال : فرجع الطائر فوقع على صدره فشقه فأخرج قلبه فشقه ، فقال الأعلى : أوعى ؟ قال : وعى ، قال : أقبل ؟ قال : أبى ، قال : ونهض فأتبعهما طرفه فقال :

لَبَّيْكُمـا لَبَّيْكُمـا ها أنـا ذا لَـدَيْكُمـا
إنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا وأيُّ عبـدٍ لَكَ لاَ أَلَمَّـا[2]

ثم انطبق السقف وجلس أمية يمسح صدره ، فقلت : يا أخى هل تجد شيئاً ؟ قال : لا ، ولكنى أجد حراً فى صدرى ، ثم أنشد يقول :

لَيْتَنِى كُنْتُ ، قبلَ ما قَدْ بَدَا لى فِى قِلاَل الجبال أرْعَى الوُعُولا[3]
فاجْعَلِ الموتَ نُصْبَ عينيك واحْذَرْ غَوْلَةَ[4] الدهرِ إنَّ للدهرِ غُولا[5]

وقال مروان بن الحكم : عن معاوية بن أبى سفيان عن أبى سفيان بن حرب ، قال : خرجت أنا وأمية بن أبى الصلت تجاراً إلى الشام ، فكان كلما نزلنا منزلاً أخرج منه سِفراً يقرؤه ، فكنا كذلك حتى نزلنا بقرية من قرى النصارى فرأوه فعرفوه وأهدوا له ، وذهب معهم إلى بيعتهم ، ثم رجع فى وسط النهار فطرح نفسه واستخرج ثوبين أسودين فلبسهما ، ثم قال : يا أبا سفيان هل لك فى عالم من علماء النصارى إليه تناهى علم الكتب تسأله عما بدا لك ؟ قلت : لا ، فمضى هو وحده وجاءنا بعد هدأة[6] من الليل فطرح ثوبيه ثم انجدل[7] على فراشه فوالله ما نام ولا قام حتى أصبح وأصبح كئيباً حزيناً ما يكلمنا ولا نكلمه . فسرنا ليلتين على ما به من الهم .. فقلت له : ما رأيت مثل الذى رجعت به من عند صاحبك ، قال : لمنقلبى ، قلت : وهل لك من منقلب ؟ قال : إى والله لأموتن ولأحاسبن ، قلت : فهل أنت قابل أمانى ؟ قال : على ماذا ؟ قلت : على أنك لا تبعث ولا تحاسب ، فضحك وقال : بلى والله لتبعثن ولتحاسبن ، ولتدخلن فريق فى الجنة وفريق

---

(١) فى الأصل « محفوف بالنعم محوط بالذنب » وسياق ابن كثير فى البداية والنهاية أفضل ، لذا فقد أثبتناه . ومحفود أى مخدوم . ومخضود : منقطع الحجة منكسر .

(٢) هذا البيت لأبى خراش الهذلى ، وكان أهل الجاهلية يطوفون بالبيت ويقولون : « إن تغفر .. » . وجَمًّا : أى كثيراً .. وألَمَّ : ارتكب اللمم وهو صغار الذنوب .

(٣) قلال : جمع قلة وهى رأس الجبل .. الوعول جمع وعل : وهو تيس الجبل ، يسكن أعالى الجبال لا يفارقها إلا قليلاً .

(٤) غولة : كل ما اغتال الإنسان فأهلكه .

(٥) انظر البداية والنهاية [٢/٢٢٤ – ٢٢٦] وطبقات فحول الشعراء لابن سلام [١/٢٦٥ – ٢٦٧] .

(٦) الهَدْأة من الليل : الهزيع منه ، وهو من أوله إلى ثلثه .

(٧) انْجدَل : انصرع .

فى السعير ، قلت : ففى أيهما أنت أخبرك صاحبك ؟ قال : لا علم لصاحبى بذلك فىّ ولا فى نفسه ، فكنا فى ذلك ليلتنا يعجب منا ونضحك منه حتى قدمنا غوطة دمشق ، فبعنا متاعنا وأقمنا شهرين ثم ارتلحنا حتى نزلنا قرية من قرى النصارى فلما رأوه جاءوه وأهدوا له وذهب معهم إلى بيعتهم ، حتى جاءنا مع نصف النهار فلبس ثوبيه الأسودين وذهب حتى جاءنا بعد هدأة من الليل فطرح ثوبيه ثم رمى بنفسه على فراشه ، فوالله ما نام ولا قام حتى أصبح مبثوثاً حزيناً لا يكلمنا ولا نكلمه .

فرحلنا فسرنا ليالى ، ثم قال : يا صخر حدثنى عن عتبة بن ربيعة أيجتنب المحارم والمظالم ؟ قلت : إى والله ، قال : أو يصل الرحم ويأمر بصلتها ؟ قلت : نعم ، قال : فكريم الطرفين وسيط فى العشيرة ؟ قلت : نعم ، قال : فهل تعلم قريشاً أشرف منه ؟ قلت : لا والله ، قال : أمحوج هو ؟ قلت : لا بل هو ذو مال كثير ، قال : كم أتى له من السنين ؟ قلت : هو ابن سبعين أو قد قاربها ، قال : فالسن والشرف أزريا به ، قلت : والله بل زاده خيراً ، قال : هو ذاك ، ثم إن الذى رأيت بى إنى جئت هذا العالم فسألته عن هذا الذى ينتظر ، فقال : رجل من العرب من أهل بيت تحجه العرب ، فقلت : فينا بيت تحجه العرب ، قال : هو من إخوانكم وجيرانكم من قريش ، فأصابنى شىء ما أصابنى مثله إذ خرج من يدى فوز الدنيا والآخرة وكنت أرجو أن أكون أنا هو ، فقلت : فصفه لى ، فقال : رجل شاب حين دخل فى الكهولة ، بدؤ أمره أنه يجتنب المحارم والمظالم ، ويصل الرحم ويأمر بصلتها ، وهو كريم الطرفين ، متوسط فى العشيرة ، أكثر جنده من الملائكة ، قلت : وما آية ذلك ؟ قال : رجفت الشام منذ هلك عيسى ابن مريم عدة رجفات كلها فيها مصيبة ، وبقيت رجفة عامة فيها مصيبة ، يخرج على أثرها ، فقلت : هذا هو الباطل ، لئن بعث الله رسولاً لا يأخذه إلا مسناً شريفاً ، قال أمية : والذى يحلف به إنه لهكذا .

فخرجنا حتى إذا كان بيننا وبين مكة ليلتان أدركنا راكباً من خلفنا فإذا هو يقول أصابت الشام من بعدكم رجفة دثر أهلها[1] فيها فأصابتهم مصائب عظيمة ، فقال أمية : كيف ترى يا أبا سفيان ؟ فقلت : والله ما أظن صاحبك إلا صادقاً ، وقدمنا مكة ثم انطلقت حتى أتيت أرض الحبشة تاجراً وكنت فيها خمسة أشهر ثم قدمت مكة فجاءنى الناس يسلمون علىّ وفى آخرهم محمد وهند تلاعب صبيانها ، فسلم علىّ ورحب بى ، وسألنى عن سفرى ومقدمى ، ثم انطلق فقلت : والله إن هذا الفتى لعجب ما جاءنى من قريش أحد له معى بضاعة إلا سألنى عنها وما بلغت ، والله إن له معى لبضاعة ما هو بأغناهم عنها ثم ما سألنى عنها فقالت : أو ما علمت بشأنه ؟ فقلت وفزعت : وما شأنه ؟ قالت : يزعم أنه رسول الله فذكرت قول

(١) دثر الشيء : قَدُمَ ودَرَس . ودثر فلان : كَبِر وأسَنَّ .

النصرانى فوجمت[1] ، ثم قدمت الطائف فنزلت على أمية فقلت : هل تذكر حديث النصرانى ؟ قال : نعم ، فقلت : قد كان ، قال : ومن ؟ قلت : محمد بن عبد الله ، فتصبب عر .. فقلت : قد كان من أمر الرجل ما كان فأين أنت منه ؟ فقال : والله لا آومن بنبى من غير ثقيف أبداً[2] .

فهذا حديث أبى سفيان عن أمية ، وذلك حديثه عن هرقل وهو فى صحيح البخارى ، وكلاهما من أعلام النبوة المأخوذة عن علماء أهل الكتاب .

بحيرا الراهب يشاهد علامات النبوة فى محمد ﷺ

وذكر الترمذى وغيره من حديث عبد الرحمن بن غزوان وهو ثقة : أخبرنا يونس بن أبى إسحاق ، عن أبى بكر بن أبى موسى ، عن أبيه ، قال : « خرج أبو طالب إلى الشام وخرج معه النبى ﷺ فى أشياخ من قريش ، فلما أشرفوا على الراهب حطوا عن رحالهم ، فخرج إليهم الراهب وكانوا قبل ذلك يمرون به فلا يخرج إليهم ولا يلتفت .

قال : فهم يحلون رحالهم فجعل يتخللهم الراهب حتى إذا جاء فأخذ بيد رسول الله ﷺ فقال : هذا سيد العالمين ، هذا رسول رب العالمين يبعثه الله رحمة للعالمين ، فقال له أشياخ من قريش : ما علمك ؟ فقال : إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر إلا خرّ ساجداً ، ولا يسجدون إلا لنبى ، وإنى أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفيه مثل التفاحة ، ثم رجع فصنع لهم طعاماً فلما أتاهم به وكان هو فى رعية الإبل قال : أرسلوا إليه ، فأقبل وعليه غمامة تظله ، فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فىء الشجرة ، فلما جلس مال فىء الشجرة عليه ، فقال : انظروا إلى فىء الشجرة مال عليه .

قال : فبينا هو قائم عليهم وهو يناشدهم أن لا يذهبوا به إلى الروم فإن الروم إن رأوه عرفوه بالصفة فيقتلونه وإذا بسبعة قد أقبلوا من الروم فاستقبلهم ، وقال : ما جاء بكم ؟ قالوا : بلغنا أن هذا النبى خارج فى هذا الشهر فلم يبق طريق إلا بعث إليه بأناس ، وإنا قد أُخْبِرْنَا خبره فبعثنا إلى طريقك هذا ، فقال : هل خَلْفَكُمْ أحدٌ هو خير منكم ؟ قالوا : إنا قد أخبرنا خبره بطريقك هذا ، قال : أفرأيتم أمراً أراد الله أن يقضيه فهل يستطيع أحد من الناس رده ؟ قالوا : لا ، قال : فبايعوه وأقاموا معه ، قال : أنشدكم الله أيكم وليه ؟ قالوا : أبو طالب ، فلم يزل يناشدهم حتى رده »[3] . وقد روى محمد بن سعد هذه القصة مطولة .

---

(١) وجم : سكت على غيظ ، وعبس وأطرق وسكت عن الكلام لشدة الحزن .

(٢) انظر البداية والنهاية [٢/٢٢١ - ٢٢٣] .

(٣) فى فقه السيرة يعلق الشيخ محمد الغزالى على هذه القصة قائلاً : « وسواء أصحت قصة بحيرا هذه أم بطلت فمن المقطوع به أنها لم تخلف بعدها أثراً .. » ويتعقب مخرج أحاديث الكتاب الشيخ ناصر الألبانى قول الغزالى بقوله : « بل هى صحيحة ، فقد أخرجها الترمذى من حديث أبى موسى الأشعرى وقال : هذا حديث حسن » قلت : وإسناده صحيح ، كما قال الجزرى ، =

قال ابن سعد : حدثنا محمد بن عمر بن واقد ، حدثنا محمد بن صالح وعبد الله بن جعفر الزهري ، قال محمد بن عمر : وحدثنا ابن أبي حبيبة عن داود بن الحصين ، قال : لما خرج أبو طالب إلى الشام وخرج معه رسول الله ﷺ في المرة الأولى وهو ابن ثنتي عشرة سنة ، فلما نزل الركب بصرى من أرض الشام وبها راهب يقال له : بحير في صومعة له وكان علماء النصارى يكونون في تلك الصومعة يتوارثونها عن كتاب يدرسونه ، فلما نزلوا على بحيرا وكانوا كثيراً ما يمرون به ولا يكلمهم حتى إذا كان ذلك العام ونزلوا منزلاً قريباً من صومعته قد كانوا ينزلونه قبل ذلك كلما مروا ، فصنع لهم طعاماً ثم دعاهم ، وإنما حمله على دعائهم أنه رآهم حين طلعوا وغمامة تظل رسول الله ﷺ من دونهم حتى نزلوا تحت الشجرة ، ثم نظر إلى تلك الغمامة أظلت تلك الشجرة فاخضلّت[1] أغصان الشجرة على رسول الله ﷺ حتى استظل تحتها .

فلما رأى بحيرا ذلك نزل من صومعته وأمر بذلك الطعام فأتي به وأرسل إليهم ، وقال : إني قد صنعت لكم طعاماً يا معشر قريش وأنا أحب أن تحضروه كلكم ، ولا تخلفوا أحداً منكم كبيراً ولا صغيراً حراً ولا عبداً فإن هذا شيء تكرموني به ، فقال رجل : إن لك لشأناً يا بحيرا ما كنت تصنع هذا فما شأنك اليوم ؟ قال : إني أحب أن أكرمكم ولكم حق ، فاجتمع القوم إليه وتخلف رسول الله ﷺ من بين القوم لحداثة سنه في رحالهم تحت الشجرة .

فلما نظر بحيرا إلى القوم فلم ير الصفة التي يعرفها ويجدها عنده وجعل ينظر فلا يرى

= قال : «وذكر أبي بكر وبلال فيه غير محفوظ» قلت : وقد رواه البزار فقال : «وأرسل معه عمه رجلاً» . كذلك فإن الشيخ البوطي يعلق على هذه القصة قائلاً : «انفرد الترمذي بروايته مطولاً على نحو آخر ، ولعل في سنده بعض اللين ، فقد قال هو نفسه بعد أن رواه : «هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه» وفي سنده عبد الرحمن بن غزوان قال عنه في الميزان : له مناكير ، ثم قال : أنكر مالك حديثه عن يونس بن أبي إسحاق في سفر النبي ﷺ وهو مراهق مع أبي طالب إلى الشام وقال عنه ابن سيد الناس : في متنه نكارة [عيون الأثر ١ - ٤٣] . والغريب أن الشيخ ناصر الدين الألباني قال عنه - رغم هذا - في تخريجه لأحاديث «فقه السيرة» للغزالي : إسناده صحيح ولم ينقل من تعليق الترمذي عليه إلا قوله : هذا حديث حسن .. ومن عادته أن يضعف ما هو أصح من هذا الحديث بكثير .. هذا وقد قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية عنه : «فيه من الغرائب أنه من مرسلات الصحابة فإن أبا موسى إنما قدم في سنة خيبر سنة سبع من الهجرة وعلى كل تقدير فهو مرسل ، ولعل أبا موسى تلقاه من النبي ﷺ فيكون أبلغ ، أو من بعض كبار الصحابة ، أو كان هذا مشهوراً مذكوراً أخذه من طريق الاستفاضة» أما الحاكم في مستدركه فقد صحح القصة ، لكن تعقبه الذهبي بقوله : «أظنه موضوعاً فبعضه باطل» وبعد استعراض كل ما قيل حول هذه القصة فسنردد قول الشيخ البوطي في فقه السيرة : «هذا وأما القدر المشترك من القصة فثابت بطرق كثيرة لا يلحقها وهن» .

[انظر الترمذي في المناقب . باب ما جاء في بدء نبوة النبي ﷺ [٣٦٢٠] والحاكم في المستدرك [٦١٥/٢ ، ٦١٦] وابن كثير في البداية والنهاية [٢٨٤/٢ ، ٢٨٥] وابن هشام في السيرة [١١٠/١ ، ١١٢] والغزالي في فقه السيرة [ص ٦٩ - ٧١] والبوطي في فقه السيرة [ص ٥٣] .

(١) اخضلت : أي نُعِمَتْ .

الغمامة على أحد من القوم ويراها على رسول الله ﷺ ، فقال بحيرا : يا معشر قريش لا يتخلفن منكم أحد عن طعامى . قالوا : ما تخلف أحد إلا غلام هو أحدث القوم سناً فى رحالهم ، فقال : ادعوه ليحضر طعامى فما أقبح أن تحضروا ويتخلف رجل واحد مع إنى أراه من أنفسِكُم ، فقال القوم : هو والله أوسطنا نسباً وهو ابن أخى هذا الرجل يعنون أبا طالب ، وهو من ولد عبد المطلب ، فقال الحارث بن عبد المطلب : والله إن كان بنا للؤم أن يتخلف ابن عبد المطلب من بيننا ، ثم قام إليه فاحتضنه وأقبل به حتى أجلسه على الطعام والغمامة تسير على رأسه ، وجعل بحيرا يلحظه لحظاً شديداً وينظر إلى أشياء فى جسده قد كان يجدها عنده فى صفته .

فلما تفرقوا عن الطعام قام إليه الراهب فقال : يا غلام أسألك بحق اللات والعزى ألا ما أخبرتنى عما أسألك . فقال رسول الله ﷺ : لا تسألنى باللات والعزى فوالله ما أبغضت شيئاً بغضهما ، قال : فبالله ألا أخبرتنى عما أسألك عنه ، قال : سلنى عما بدالك ، فجعل رسول الله ﷺ يخبره فيوافق ذلك ما عنده ، ثم جعل ينظر بين عينيه ، ثم كشف عن ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على الصفة التى عنده فقبل موضع الخاتم .

وقالت قريش : إن لمحمد عند هذا الراهب لقدراً ، وجعل أبو طالب لما يرى من الراهب يخاف على ابن أخيه ، فقال الراهب لأبى طالب : ما هذا الغلام منك ؟ قال : هو ابنى ، قال : ما ينبغى لهذا الغلام أن يكون أبوه حياً ، قال : فابن أخى ، قال : فما فعل أبوه ؟ قال : هلك وأمه حبلى به ، قال : فما فعلت أمه ؟ قال : توفيت قريباً ، قال : صدقت ، ارجع بابن أخيك إلى بلده واحذر عليه اليهود فوالله لئن عرفوا منه ما أعرف ليبغنه عنتاً فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم نجده فى كتابنا ، واعلم أنى قد أديت إليك النصيحة .

فلما فرغوا من تجارتهم خرج به سريعاً ، وكان رجال من اليهود قد رأوا رسول الله ﷺ وعرفوا صفته فأرادوا أن يغتالوه فذهبوا إلى بحيرا فذكروا له أمره فنهاهم أشد النهى ، وقال لهم : أتجدون صفته ؟ قالوا : نعم ، قال : فما لكم إليه سبيل ، فصدقوه وتركوه ، ورجع أبو طالب فما خرج به سفراً بعد ذلك خوفاً عليه »[1] .

خبر عن هرقل

وذكر الحاكم والبيهقى وغيرهما من حديث عبد الله بن إدريس ، عن شرحبيل بن مسلم ، عن أبى أمامة ، عن هشام بن العاص ، قال : ذهبت أنا ورجل آخر من قريش إلى هرقل صاحب الروم ندعوه إلى الإسلام ، فخرجنا حتى قدمنا غوطة دمشق ، فنزلنا على جبلة بن

(١) ابن سعد فى الطبقات الكبرى [٤/٩٩ - ١٠١] .

الأيهم الغسانى ، فدخلنا عليه فإذا هو على سرير له ، فأرسل إلينا برسول نكلمه ، فقلنا : لا والله لا نكلم رسولاً ، إنا بعثنا إلى الملك ، فإن أذن لنا كلمناه وإلا لم نكلم الرسول ، فرجع إليه الرسول فأخبره بذلك ، قال : فأذن لنا ، فقال تكلموا . فكلمه هشام بن العاص ودعاه إلى الإسلام ، وإذا عليه ثياب سوداء ، فقال له هشام : وما هذه التى عليك ؟ فقال : لبستها وحلفت أن لا أنزعها حتى أخرجكم من الشام ، قلنا : ومجلسك هذا فوالله لنأخذنه منك ، ولنأخذن ملك الملك الأعظم ، أخبرنا بذلك نبينا ، فقال : لستم بهم ، بل هم قوم يصومون بالنهار ويفطرون بالليل ، فكيف صومكم ؟ فأخبرناه فملأ وجهه سواداً ، فقال : قوموا ، وبعث معنا رسولاً إلى الملك فخرجنا حتى إذا كنا قريباً من المدينة قال لنا الذى معنا : إن دوابكم هذه لا تدخل مدينة الملك ، فإن شئتم حملناكم على بَرَاذِين[1] وبغال ، قلنا : والله لا ندخل إلا عليها ، فأرسلوا إلى الملك : إنهم يأبون ، فدخلنا على رواحلنا متقلدين سيوفنا حتى انتهينا إلى غرفة له فأنخنا فى أصلها وهو ينظر إلينا ، فقلنا : لا إله إلا الله والله أكبر ، والله يعلم لقد انتفضت الغرفة حتى صارت كأنها عِذْقُ تصفقه[2] الرياح .

فأرسل إلينا : ليس لكم أن تجهروا علينا بدينكم ، وأرسل إلينا أن ادخلوا ، فدخلنا عليه وهو على فراش له وعنده بطارقته من الروم وكل شىء فى مجلسه أحمر ، وما حوله حمرة وعليه ثياب من الحمرة ، فدنونا منه فضحك ، وقال : ما كان عليكم لو حييتمونى بتحيتكم فيما بينكم ؟ وإذا رجل فصيح بالعربية كثير الكلام ، فقلنا : إن تحيتنا فيما بيننا لا تحل لك وتحيتك التى تُحَيَّا بها لايحل لنا أن نحييك بها، قال: كيف تحيتكم فيما بينكم؟ فقلنا: السلام عليكم.

قال : كيف تحيون ملككم ؟ قلنا : بها ، قال : كيف يرد عليكم ؟ قلنا : بها ، قال : فما أعظم كلامكم ؟ قلنا : لا إله إلا الله والله أكبر . فلما تكلمنا بها ـ والله يعلم ـ لقد انتفضت الغرفة حتى رفع رأسه إليها ، قال : فهذه الكلمة التى قلتموها حيث انتفضت الغرفة ، كلما قلتموها فى بيوتكم تنتفض عليكم بيوتكم ، قلنا : لا ، ما رأيناها فعلت هذا قط إلا عندك ، قال : وددت أنكم كلما قلتموها ينتفض كل شىء عليكم وأنى خرجت من نصف ملكى ، قلنا : لِمَ ؟ قال : لأنه يكون أيسر لشأنها وأجدر أن لا تكون من أمر النبوة وأن تكون من حيل الناس ، ثم سألنا عما أراد فأخبرناه .

ثم قال : كيف صلاتكم وصومكم ؟ فأخبرناه ، فقال : قوموا . فقمنا ، فأمر لنا بمنزل حسن ونُزُلٍ كثير ، فأقمنا ثلاثاً ، فأرسل إلينا ليلاً فدخلنا عليه ، فاستعاد قولنا فأعدناه ،

---

(١) مفردها : البَرْذَوْن : يطلق على غير العربى من الخيل والبغال وهو عظيم الخلقة ، غليظ الأعضاء ، قوى الأرجل ، عظيم الحوافر .

(٢) العذق : كل غصن له شُعَبٌ . وصفقت الريح والشجر والماء والثوب : ضربته وحركته .

ثم دعا بشيء كهيئة الرَّبْعَة[1] العظيمة ، مذهبة ، فيها بيوت صغار عليها أبواب ، ففتح بيتاً وقفلاً واستخرج منه حريرة سوداء فنشرها ، فإذا فيها صورة حمراء ، وإذا فيها رجل ضخم العينين ، عظيم الأليتين لم أر مثل طول عنقه ، وإذا ليست له لحية ، وإذا له ظفيرتان أحسن ما خلق الله ، قال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا ، قال : هذا آدم عليه السلام ، وإذا هو أكثر الناس شعراً ، ثم فتح باباً آخر واستخرج منه حريرة سوداء ، وإذا فيها صورة بيضاء ، وإذا له شعر قطط[2] أحمر العينين ضخم الهامة ، حسن اللحية ، قال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا ، قال : هذا نوح عليه السلام . ثم فتح باباً آخر فاستخرج منه حريرة سوداء وإذا فيها صورة **رجل شديد البياض ، حسن العينين ، صلت[3] الجبين ، طويل الخد أبيض اللحية كأنه** يتبسم ، قال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا ، قال : هذا إبراهيم عليه السلام ، ثم فتح باباً آخر فاستخرج حريرة فإذا صورة بيضاء وإذا والله رسول الله ﷺ ، قال : أتعرفون هذا ؟ قلنا : نعم محمد رسول الله ﷺ وبكينا .

قال : ـ والله يعلم ـ أنه قام قائماً ثم جلس فقال : والله إنه لَهُوَ ؟ قلنا : نعم إنه لهو كأنما ننظر إليه ، فأمسك ساعة ينظر إليها ثم قال : أما إنه كان آخر البيوت ولكني عجلته لكم لأنظر ما عندكم . ثم فتح باباً آخر فاستخرج منه حريرة سوداء فإذا فيها صورة أدماءُ **سَحْمَاءُ[4] وإذا رجل جعد قطط ، غائر العينين حديد[5] النظر ، عابسٌ ، متراكب الأسنان ،** مقلص[6] الشفة كأنه غضبان ، قال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا ، قال : هذا موسى بن عمران ، وإلى جنبه صورة تشبهه ، إلا أنه مدهان[7] الرأس ، عريض الجبين ، في عينيه قَبَل[8] ، فقال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا ، قال : هذا هارون . ثم فتح باباً آخر فاستخرج حريرة بيضاء فإذا فيها صورة رجل آدم ، سبط[9] ربعة كأنه غضبان ، فقال : هل تعرفون هذا قلنا : لا ، قال : هذا لوط .

ثم فتح باباً آخر فاستخرج منه حريرة بيضاء فإذا فيها صورة رجل أبيض ، مشرب حمرة ،

---

(١) الرَّبْعَة : حُقَّة الطِّيب .

(٢) يقال : شعر قطط : قصير جَعْدٌ .

(٣) صَلْت : أملس . وجبين صلت : واضح في سعة وبريق . والجمع (أصلات) .

(٤) أدِمَ : اشتدت سمرته فهو آدَمُ ، وهي أدماء . وسحماء : سوداء .

(٥) حَدُّ الرجل : نشط وقوى قلبه .

(٦) قَلَص الشفة : شمُرت وارتفعت .

(٧) مدهان : أي كثير دهن شعر الرأس .

(٨) القَبَلُ في العين : إقبال سوادها على الأنف أو الحاجب .

(٩) السَّبْطُ من الرجال : الطويل ، ومن الشعر : المسترسل غير الجَعْد .

أقنى[1] ، خفيف العارضين[2] ، حسن الوجه ، فقال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا . لا ، قال : هذا إسحاق . ثم فتح باباً آخر فاستخرج حريرة بيضاء فيها صورة رجل تشبه إسحاق إلا إنه على شفته السفلى خَالٌ[3] ، فقال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا ، قال : هذا يعقوب . ثم فتح باباً آخر فاستخرج حريرة سوداء ، فيها صورة رجل أبيض ، حسن الوجه ، أقنى الأنف ، حسن القامة ، يعلو وجهه نوره ، يعرف فى وجهه الخشوع ، يضرب إلى الحمرة ، فقال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا ، قال : هذا إسماعيل جد نبيكم . ثم فتح باباً آخر **فاستخرج حريرة بيضاء فيها صورة كأنها صورة آدم ، كأن وجهه الشمس ، فقال : هل تعرفون هذا ؟ لا ، قال : هذا يوسف .**

ثم فتح باباً آخر فاستخرج حريرة بيضاء ، فيها صورة رجل أحمر حَمْش[4] الساقين ، أخفش[5] العينين ، ضخم البطن ربعة متقلد سيفاً ، فقال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا ، قال : هذا داود . ثم فتح باباً آخر فاستخرج حريرة بيضاء ، فيها صورة رجل ضخم الأليتين ، طويل الرجلين ، راكب فرس ، فقال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا ، قال : هذا سليمان ابن داود . ثم فتح باباً آخر فاستخرج منه حريرة سوداء ، فيها صورة بيضاء وإذا رجل شاب ، شديد سواد اللحية ، لين الشعر ، حسن الوجه حسن العينين ، فقال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا ، قال : هذا عيسى .

قلنا : من أين لك هذه الصور ، لأنا نعلم أنها على ما صُوِّرت عليه الأنبياء ، لأنا رأينا صورة نبينا مثله ؟ قال : إن آدم سأل ربه أن يريه الأنبياء من ولده فأنزل عليه صورهم ، وكانوا فى خزانة آدم عند مغرب الشمس ، فاستخرجها ذو القرنين فصارت إلى دانيال ، ثم قال : أما والله إن نفسى طابت بالخروج من ملكى ، وإنى كنت عبداً لأشدكم ملكة حتى أموت[6] .

ثم أجازنا وأحسن جائزتنا وسرحنا ، فلما أتينا أبا بكر الصديق فأخبرناه بما رأينا وما قال لنا وما أجازنا فبكى أبو بكر ، وقال : لو أراد الله به خيراً لفعل »[7].

فصل : فهذا فى الإخبار بنبوته مما تلقاه المسلمون من أفواه علماء أهل الكتاب والمؤمنين

---

(١) قَنى الأنف : ارتفع وسط قصبته وضاق منخراه .

(٢) العارِضُ : جانب الوجه وصفحة الخدِّ ، يقال : هو خفيف العارضين : أى خفيف شعر العارضين .

(٣) الخَالُ : شامة أو نكتة سوداء فى البدن .

(٤) حَمِشَ الرجل : كان دَقيق الساقين ، فهو أحمشهما ، وحمشهما .

(٥) الخفش : ضعف فى الإبصار يظهر فى النور الشديد .

(٦) فى دلائل النبوة « وإن كنت عبداً لا يترك ملكه حتى أموت » وهو أصح سياقاً .

(٧) إسناده ضعيف . انظر دلائل النبوة للبيهقى [١/٣٨٥ - ٣٩٠] .

منهم ، والأول فيما نقلوه من كتبهم ، وعلمائهم يقرون أنه فى كتبهم . فالدليل بالوجه الأول يقام عليهم من كتبهم ، وبهذا الوجه يقام بشهادة مَنْ لا يتهم عليهم لأنه إما من عظمائهم ، وإما ممن رغب عن رياسته وماله ووجاهته فيهم وآثر الإيمان على الكفر والهدى على الضلال ، وهو فى هذا مدع أن علماءهم يعرفون ذلك ويقرون به ولكن لا يطلعون جهالهم عليه .

اليهود والنصارى ينكرون صحة البشارة استكباراً

فصل : فالأخبار والبشارة به ﷺ فى الكتب المتقدمة عرفت من عدة طرق :

أحدها : ما ذكرناه ، وهو قيل من كثيرة وغَيْضٌ مِنْ فَيْضٍ .

الثانى : إخباره ﷺ لهم أنه مذكور عندهم وأنهم وعدوا به وأن الأنبياء بشرت به ، واحتجاجه عليهم بذلك ، ولو كان هذا الأمر لا وجود له **ألبتة** لكان مغرياً لهم بتكذيبه منفراً لاتباعه محتجاً على دعواه بما يشهد ببطلانها .

الثالث : أن هاتين الأمتين معترفون بأن الكتب القديمة بشرت بنبى عظيم الشأن يخرج فى آخر الزمان نعته كيت وكيت ، وهذا مما اتفق عليه المسلمون واليهود والنصارى . فإما « المسلمون » فلما جاءهم آمنوا به وصدقوه وعرفوا أنه الحق من ربهم . وأما « اليهود » فعلماؤهم عرفوه وتيقنوا أنه محمد بن عبد الله فمنهم من آمن به ومنهم من جحد نبوته وقالوا لأتباعه : إنه لم يخرج بعد . وأما « النصارى » فوضعوا بشارات التوراة والنبوات التى بعدها على المسيح ، ولا ريب أن بعضها صريح فيه وبعضها ممتنع حمله عليه وبعضها محتمل ، وأما بشارات المسيح فحملوها كلها على الحواريين ، وإذا جاءهم ما يستحيل انطباقه عليهم حرفوه أو سكتوا عنه وقالوا : لا ندرى مَنْ المرادُ به ؟.

الرابع : اعتراف من أسلم منهم بذلك وأنه صريح فى كتبهم ، وعن المسلمين الصادقين منهم تلقى المسلمون هذه البشارات وتيقنوا صدقها وصحتها بشهادة المسلمين منهم بها مع تباين أعصارهم وأمصارهم وكثرتهم واتفاقهم على لفظها ، وهذا يفيد القطع بصحتها ولو لم يقر بها أهل الكتاب ، فكيف وهم مقرون بها لا يجحدونها وإنما يغالطون فى تأويلها والمراد بها ؟! وكل واحد من هذه « الطرق الأربعة » كاف فى العلم بصحة هذه البشارات ، وقد قدمنا أن إقدامه ﷺ على إخبار أصحابه وأعدائه بأنه مذكور فى كتبهم بنعته وصفته وأنهم **يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وتكراره ذلك عليهم مرة بعد مرة فى كل مجمع وتعريفهم بذلك** وتوبيخهم والنداء عليهم به من أقوى الأدلة القطعية على وجوده من وجهين : **أحدهما** : قيام الدليل القطعى على صدقه ، **الثانى** : دعوته لهم بذلك إلى تصديقه ، ولو لم يكن له وجود لكان ذلك من أعظم دواعى تكذيبه والتنفير عنه .

افتراء على الأنبياء وتبديل وتحريف للتوراة

فصل : وهذه الطرق يسلكها من يساعدهم على أنهم لم يحرفوا ألفاظ التوراة والإنجيل ولم يبدلوا شيئاً منها فيسلكها بعض نُظَّار المسلمين معهم من غير تعرض إلى التبديل والتحريف . وطائفة أخرى تزعم أنهم بدلوا وحرفوا كثيراً من ألفاظ الكتابين ، مع أن الغرض الحامل لهم على ذلك دون الغرض الحامل لهم على تبديل البشارة برسول الله ﷺ بكثير ، وأن البشارات لكثرتها لم يمكنهم إخفاؤها كلها وتبديلها ، ففضحهم ما عجزوا عن كتمانه أو تبديله .

وكيف يُنْكَرُ من الأمة الغضبية قَتَلَة الأنبياء الذين رموهم بالعظائم أن يكتموا نعت رسول الله ﷺ وصفته وقد جحدوا نبوة المسيح ورموه وأمه **بالعظائم** ونعته والبشارة به موجود فى كتبهم ؟ ومع هذا أطبقوا على جحد نبوته وإنكار بشارة الأنبياء به ، ولم يفعل بهم ما فعله بهم محمد ﷺ من القتل والسبى وغنيمة الأموال وتخريب الديار وإجلائهم منها ، فكيف لا تتواصى هذه الأمة بكتمان نعته وصفته وتبدله من كتبها ؟

وقد عاب الله سبحانه عليهم ذلك فى غير موضع من كتابه ولعنهم عليه . ومن العجب أنهم والنصارى يقرون أن التوراة كانت طول مملكة بنى إسرائيل عند **الكاهن** الأكبر الهارونى وحده ، واليهود تقر أن السبعين كاهناً اجتمعوا على اتفاق من جميعهم على تبديل ثلاثة عشر حرفاً من التوراة ، وذلك بعد المسيح فى عهد القياصرة الذين كانوا تحت قهرهم حيث زال الملك عنهم ولم يبق لهم ملك يخافونه ويأخذ على أيديهم ، ومن رضى بتبديل موضع واحد من كتاب الله فلا يؤمن منه تحريف غيره[1] ، واليهود تقر أيضاً أن السامرة حرفوا مواضع **من التوراة وبدلوها تبديلاً ظاهراً وزادوا ونقصوا ، والسامرة تدعى ذلك عليهم**[2] .

---

(١) ذكر المؤرخون أن اليهود غيروا وبدلوا فى التوراة بمعرفة كهنتهم . فالتوراة كانت طوال مدة ملك بنى إسرائيل توجد لدى كبير الكهنة الذى من نسل النبى هارون لكن اجتمع سبعون كاهناً واتفقوا على تبديل ثلاثة عشر موضعاً من التوراة بعد زمان السيد المسيح وفى زمان القياصرة سنة ١٣٠ من الميلاد .

[انظر محمد نبى الإسلام فى التوراة والإنجيل والقرآن ص ٩٢] .

(٢) بعد وفاة النبى موسى عليه السلام وارتداد بنى إسرائيل إلى عبادة الأصنام ، دخل بنو إسرائيل فى حروب مع الكنعانيين فى فلسطين وكانوا يحملون التابوت بداخله الألواح تبركاً ، وفى أحد المعارك انهزموا وتركوا وراءهم التابوت الذى أخذه الكنعانيون . ثم تجمع اليهود تحت إمرة طالوت الملك الذى أعاد لهم التابوت مع بقية مما كان فيه من المقدسات المكتوبة . وبعد أن آل الملك إلى داود نقل التابوت إلى عاصمة مملكته وبنى الهيكل ووضع التابوت فى قلبه فى مكان يسمى «قدس الأقداس» وقد أشار القرآن إلى أن ما وجد فى الصندوق هو بقية مما ترك آل موسى وهارون ، لا ما تركه موسى وهارون بل بعضه . وبذلك نستطيع القول بأن سند التوراة قد انقطع منذ ضياع بعضها من الصندوق . وحدثت بعد سليمان ردة لبنى إسرائيل وعبادة للأوثان ، وتعرض بيت المقدس والهيكل للسلب والنهب ، إلى أن تولى الحكم ملك يدعى «يوشيا» سنة ٦٢٩ ق . م حاول إعادة بنى إسرائيل إلى عبادة الله ومكث ١٧ سنة هو ورجاله يبحثون عن نسخة من سفر الشريعة وأخيراً جاء كاهن اسمه حلقيا =

وأما « الإنجيل » فقد تقدم أن الذى بأيدى النصارى منه أربعة كتب مختلفة من تأليف أربعة رجال : متى ، ومرقس ، ولوقا ، ويوحنا . فكيف ينكر تطرق التبديل والتحريف إليها ؟ وعلى ما فيها من ذلك فقد صرفهم الله عن تبديل ما ذكرنا من البشارات بمحمد بن عبد الله ﷺ وإزالته وإن قدروا على كتمانه عن أتباعهم وجهالهم .

وفى « التوراة » التى بأيديهم من التحريف والتبديل وما لا يجوز نسبته إلى الأنبياء ما لا يشك فيه ذوو بصيرة ، والتوراة التى أنزلها الله على موسى بريئة من ذلك ؛ ففيها عن لوط رسول الله : « أنه خرج من المدينة وسكن فى كهف الجبل ، ومعه ابنتاه ، فقالت الصغرى للكبرى: قد شاخ أبونا فارقدى بنا معه لنأخذ منه نسلاً ، فرقدت معه الكبرى ثم الصغرى ، ثم فعلتا ذلك فى الليلة الثانية وحملتا منه بولدين موآب وعمون »[1] . فهل يحسن أن يكون نبى رسول كريم على الله يوقعه الله سبحانه فى مثل هذه الفاحشة العظيمة فى آخر عمره ، ثم يذيعها عنه ويحكيها للأمم ؟.

وفيها « أن الله تجلى لموسى فى طور سيناء وقال له بعد كلام كثير : أدخل يدك فى حجرك وأخرجها مبروصة كالثلج »[2] ، وهذا من النمط الأول . والله سبحانه لم يتجل لموسى وإنما أمره أن يدخل يده فى جيبه وأخبره أنها تخرج بيضاء من غير سوء أى من غير برص .

وفيها أن هارون هو الذى صاغ لهم العجل ، وهذا إن لم يكن من زياداتهم وافترائهم فهارون اسم السامرى الذى صاغه ليس هو بهارون أخى موسى[3] .

وفيها أن الله قال لإبراهيم : « اذبح ابنك بكرك إسحاق »[4] ، وهذا من بهتهم وزيادتهم فى كلام الله ، فقد جمعوا بين النقيضين ؛ فإن بكره هو إسماعيل فإنه بكر أولاده ، وإسحاق إنما بُشر به على الكبر بعد قصة الذبح .

وفيها : « ورأى الله أن قد كثر فساد الآدميين فى الأرض فندم على خلقهم ، وقال : سأذهب الآدمى الذى خلقت على الأرض والخشاش وطيور السماء لأنى نادم على خلقها

= وحرر بيده كتابا وقدمه له وادعى أنه سفر الشريعة عثر عليه فى الهيكل فصدقه وانتشر هذا الكتاب بين بنى إسرائيل . لم تطل مدة بقاء التوراة إلا ثلاثة عشر عاماً فقد دخل بختنصر بيت المقدس ودمره تدميراً كاملاً وانعدمت التوراة وجميع كتب العهد العتيق . وبعد انتهاء مرحلة الأسر البابلى ظهر كاهن يدعى عَزَرَا وحاول أن يعيد كتابتها من جديد اعتماداً على الذاكرة وعلى بعض وريقات متناثرة من التوراة ولما أتمها قرأها على اليهود فى أسبوع كامل ، بينما استغرقت قراءتها فى عهد يوشيا مرتين فى يوم واحد . مما يدل على أن العهد الذى كتبه عزرا ليس هو العهد الذى كتبه حلقيا .. وظلت توراة عزرا موجودة بين اليهود إلى أن تعرض بيت المقدس لحادثة التدمير الثانية على يد أنتيوكس الذى أحرق جميع نسخ العهد القديم ، ثم وقعت على اليهود حادثة مشابهة على يد تيطس الرومانى عام ٦٦ م .

[انظر محمد نبى الإسلام صـ ٩٢ - ٩٧ ، والعقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية د . سعد الدين السيد صالح صـ ١٤٥ - ١٥١] .

(١) التكوين [١٩ : ٣٠ - ٣٨] .
(٢) خروج [٤ : ٦] .
(٣) خروج [٣٢ : ١ - ٦] .
(٤) تكوين [٢٢ : ٢] .

جداً »[1] . تعالى الله عن إفك المفترين وعما يقول الظالمون علواً كبيراً .

وفيها : « أن الله ـ سبحانه وتعالى علواً كبيراً ـ تصارع مع يعقوب فضرب به يعقوب الأرض »[2] .

وفيها : « أن يهوذا بن يعقوب النبى زوَّج ولده الأكبر من امرأة يقال لها ثامار ، فكان يأتيها مستدبراً فغضب الله من فعله فأماته ، فزوَّج يهوذا ولده الآخر بها فكان إذا دخل بها أمنى على الأرض علماً بأنه إنْ أَوْلَدَها كان أول الأولاد مدعوا باسم أخيه ومنسوباً إلى أخيه ، فكره الله ذلك من فعله فأماته ، فأمرها يهوذا باللحاق ببيت أبيها إلى أن يكبر ولده شيلا ويتم عقله ، ثم ماتت زوجة يهوذا وذهب إلى منزله ليجز غنمه ، فلما أخبرت ثامار لبست زى الزوانى وجلست على طريقه ، فلما مر بها خالها زانية فراودها فطالبته بالأجرة فوعدها بِجَدْيٍ ورمى عندها عصاه وخاتمه فدخل بها فعلقت منه بولدين »[3] . ومن ولد منهما كان داود النبى[4] ، فقد جعلوه ولد زنا كما جعلوا المسيح ولد زنا ، ولم يكفهم ذلك حتى نسبوا ذلك إلى التوراة ، وكما جعلوا ولدى لوط ولدى زنا ، ثم نسبوا داود وغيره من أنبيائهم إلى ذينك الولدين .

وأما فريتهم على الله ورسله وأنبيائه ورميهم لرب العالمين ورسله بالعظائم فكثير جداً ، كقولهم : « إن الله استراح فى اليوم السابع من خلق السموات والأرض »[5] ، فأنزل الله عز وجل على رسوله تكذيبهم بقوله : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴾ [ق : ٣٨] ، وقولهم : ﴿ إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾ [آل عمران : ١٨١] ، وقولهم : ﴿ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [المائدة : ٦٤] ، وقولهم : ﴿ إِنَّ اللهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ ﴾ [آل عمران : ١٨٣] ، وقولهم : ﴿ لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَعْدُودَةً ﴾ [البقرة : ٨٠] ، وقولهم : « إن الله تعالى بكى على الطوفان حتى رمدت عيناه ، وعادته الملائكة »[6]، وقولهم الذى حكيناه آنفاً : « إن الله ندم على خلق بنى آدم »

---

(١) تكوين ٦ : ٥ - ٨ . (٢) تكوين ٣٢ : ٢٢ - ٣١ . (٣) تكوين ٣٨ : ٦ - ١٩ .

(٤) ونهاية القصة كما جاءت فى سفر التكوين هكذا : « وفى وقت ولادتها إذا فى بطنها توأمان ، وكان فى ولادتها أن أحدهما أخرج يداً فأخذت القابلة وربطت على يده قِرمزاً قائلة هذا خرج أولاً . ولكن حين رد يده إذا أخوه قد خرج فقالت : لماذا اقْتَحَمْتَ ، عليك اقتحامٌ . فدعى اسمه فارص » [تكوين ٣٨ : ٢٧ - ٣٠] .

(٥) جاء فى سفر التكوين « فأكملت السموات والأرض وكل جندها . وفرغ الله فى اليوم السابع من عمله الذى عمل . فاستراح فى اليوم السابع من جميع عمله الذى عمل . وبارك الله اليوم السابع وقدسه . لأنه فيه استراح من جميع عمله الذى عمل الله خالقا » [تك ١ : ١ - ٣] .

(٦) لم يرد بكاء الله على الطوفان فى أى سفر من أسفار التوراة ، لكنه ورد فى التلمود الذى ينظر إليه اليهود بين التقديس والإجلال حيث يصور نفسيتهم خير تصوير لأنه من عمل أيديهم كاملاً . بل إن الحاخامات يرفعون التلمود فوق التوراة =

وأدخلوا هذه الفرية فى التوراة . وقولهم عن لوط : « أنه وطىء ابنتيه وأولدهما ولدين نسبوا إليهما جماعة من الأنبياء » ، وقولهم فى بعض دعاء صلواتهم : « انتبه كم تنام يارب ؟ استيقظ من رقدتك »[١].

فتجرءوا على رب العالمين بهذه المناجاة القبيحة ، كأنهم ينخونه بذلك لينتخى لهم ويحتمى ، كأنهم يخبرونه أنه قد اختار الخمول لنفسه وأحبابه فيهزونه بهذا الخطاب للنباهة واشتهار الصيت .

قال بعض أكابرهم بعد إسلامه : فترى أحدهم إذا تلى هذه الكلمات فى الصلاة يقشعر جلده ، ولا يشك أن كلامه يقع عند الله بموقع عظيم ، وإنه يؤثر فى ربه ويحركه ويهزه وينخيه .

وعندهم فى توراتهم : « أن موسى صعد الجبل مع مشايخ أمته فأبصروا الله جهرة وتحت رجليه كرسى منظره كمنظر البلور »[٢] ، وهذا من كذبهم وافترائهم على الله وعلى التوراة .

وعندهم فى توراتهم : « أن الله سبحانه لما رأى فساد قوم نوح وأن شرهم قد عظم ندم على خلق البشر فى الأرض وشق عليه »[٣] .

وعندهم فى توراتهم أيضاً : « أن الله ندم على تمليكه شاؤل على إسرائيل »[٤] .

وعندهم فيها : « أن نوحاً لما خرج من السفينة بنى بيتاً مذبحاً وقرب عليه قرابين ، واستنشق الله رائحة القتار ، فقال فى ذاته : لن أعاود لعنة الأرض بسبب الناس لأن خاطر البشر مطبوع على الرداءة ، ولن أهلك جميع الحيوان كما صنعت »[٥] .

قال بعض علمائهم الراسخين فى العلم ممن هداه الله إلى الإسلام[٦] : لسنا نرى أن هذه الكفريات كانت فى التوراة المنزلة على موسى ، ولا نقول أيضاً إن اليهود قصدوا تغييرها وإفسادها ؛ بل الحق أولى ما اتبع ، قال : ونحن نذكر حقيقة سبب تبديل التوراة .

فإن علماء القوم وأحبارهم يعلمون أن هذه التوراة التى بأيديهم لا يعتقد أحد من علمائهم وأحبارهم أنها عين التوراة المنزلة على موسى بن عمران البتة لأن موسى صان التوراة عن بنى إسرائيل ولم يبثها فيهم خوفاً من اختلافهم من بعده فى تأويل التوراة المؤدى إلى انقسامهم أحزاباً ، وإنما سلمها إلى عشيرته أولاد لاوى ، قال : ودليل ذلك قول التوراة ما هذه ترجمته :

بدرجات كثيرة ، بل إنهم يعلقون صحة الإيمان على الاعتقاد بما جاء فى التلمود وحده دون التوراة .

(١) جاء فى المزمور الثامن والسبعين ما نصه : «فاستيقظ الرب كنائم كجبار مُعَيِّط من الخمر فضرب أعداءه إلى الوراء . جعلهم عاراً أبديا» [مزامير ٧٨ : ٦٥ ، ٦٦] .

(٢) خروج ٢٤ : ٩ - ١١ .

(٣) سبق .

(٤) صَمُوئيل الأول ١٥ : ١٠ .

(٥) تكوين ٨ : ٢٠ - ٢٢ .

(٦) يشير المؤلف بقوله إلى شموئيل بن يهوذا بن أيوب الذى كان يهودياً فدخل فى الإسلام ، وقام بتأليف كتابه « بذل المجهود فى إفحام اليهود » وسينقل عنه المؤلف فيما يختص بقضية « تحريف التوراة وتبديلها » [السقا] .

« وكتب موسى هذه التوراة ودفعها إلى أئمة بنى لاوى »[1] .

وكان بنو هارون قضاة اليهود وحكامهم ، لأن الإمامة وخدمة القرابين والبيت المقدس كانت فيهم ، ولم يبد موسى لبنى إسرائيل من التوراة إلا نصف سورة ، وقال الله لموسى عن هذه السورة : « تكون لى هذه السورة شاهدة على بنى إسرائيل ولا تنسى هذه السورة من أفواه أولادهم »[2] .

وأما بقية التوراة فدفعها إلى أولاد هارون وجعلها فيهم وصانها عمن سواهم ، فالأئمة الهارونيون هم الذين كانوا يعرفون التوراة ويحفظون أكثرها فقتلهم يختنصر على دم واحد ، وأحرق هيكلهم يوم استولى على بيت المقدس ، ولم تكن التوراة محفوظة على ألسنتهم ، بل كان كل واحد من الهارونين يحفظ فصلاً من التوراة .

فلما رأى عزير أن القوم قد أحرق هيكلهم وزالت دولتهم وتفرق جمعهم ورفع كتابهم ، جمع من محفوظاته ومن الفصول التى يحفظها الكهنة ما لفق منه هذه التوراة التى بأيديهم ، ولذلك بالغوا فى تعظيم عزير غاية المبالغة ، وقالوا فيه ما حكاه الله عنهم فى كتابه ، وزعموا أن النور على الأرض إلى الآن يظهر على قبره عند بطائح العراق ، لأنه عمل لهم كتاباً يحفظ دينهم .

فهذه التوراة التى بأيديهم على الحقيقة كتاب عزير وإن كان فيها أو أكثرها من التوراة التى أنزلها الله على موسى ، قال : وهذا يدل على أن الذى جمع هذه الفصول التى بأيديهم رجل جاهل بصفات الرب تعالى وما ينبغى له وما لا يجوز عليه ، فلذلك نسب إلى الرب تعالى ما يتقدس ويتنزه عنه ، وهذا الرجل يعرف عند اليهود والنصارى بـ **عزرا الوراق** .

ويظن بعض الناس أنه ﴿ **أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِى هَذِهِ اللهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ** ﴾ [البقرة : ٢٥٩] ، ويقول : إنه نبى ولا دليل على هاتين المقدمتين ، ويجب التثبت فى ذلك نفياً وإثباتاً ، فإن كان هذا نبياً واسمه عزير فقد وافق صاحب التوراة فى الاسم[3] .

« وبالجملـــة »

فنحن وكل عاقل نقطع ببراءة التوراة التى أنزلها الله على كليمه موسى من هذه الأكاذيب والمستحيلات والترهات ، كما نقطع ببراءة صلاة موسى وبنى إسرائيل معه من هذا الذى يقولونه فى صلاتهم اليوم ، فإنهم فى العشر الأول من المحرم من كل سنة يقولون فى صلاتهم

---

(١) تثنية ٣١ : ٩ - وما بعدها .

(٢) تثنية ٣٢ : ٣٣ .

(٣) انظر البداية والنهاية [٤٣/٢ - ٤٦] . وتفسير ابن كثير [٣١٤/١] .

ما ترجمته : « يا أبانا أملك على جميع أهل الأرض ليقول كل ذى نسمة : الله إله إسرائيل قد ملك ، ومملكته فى الكل متسلطة » .

ويقولون فيها أيضاً : « وسيكون لله الملك ، وفى ذلك اليوم يكون الله واحداً واسمه واحد » ؟ويعنون بذلك أنه لا يظهر كون الملك له وكونه واحداً إلا إذا صارت الدولة لهم ، فأما ما دامت الدولة لغيرهم فإنه تعالى خامل الذكر عند الأمم ، مشكوك فى وحدانيته ، مطعون فى ملكه ومعلوم قطعاً أن موسى ورب موسى برىء من هذه الصلاة براءته من تلك الترهات .

اليهود ينكرون نبوة المسيح

فصل : وجحدهم نبوة محمد من الكتب التى بأيديهم نظير جحدهم نبوة المسيح وقد صرحت باسمه ، ففى نص التوراة : « لا يزول الملك من آل يهوذا ، والراسم من بين ظهرانيهم إلى أن يأتى المسيح » ، وكانوا أصحاب دولة حتى ظهر المسيح فكذبوه ورموه بالعظائم وبهتوه وبهتوا أمه فدمر الله عليهم وأزال ملكهم ، وكذلك قوله : « جاء الله من طور سيناء ، وأشرق من ساعير ، واستعلن من جبال فاران » ، فأى نبوة أشرقت من ساعير غير نبوة المسيح ؟

وهم لا ينكرون ذلك ، ويزعمون أن قائماً يقوم فيهم من ولد داود النبى إذا حرك شفتيه بالدعاء مات جميع الأمم ولا يبقى إلا اليهود ، وهذا « المنتظر » بزعمهم هو المسيح الذى وعدوا به ، قالوا : ومن علامة مجيئه أن الذئب والتيس يربضان[1] معاً ، وأن البقرة والذئب يرعيان معاً ، وأن الأسد يأكل التبن كالبقر .

فلما بعث الله المسيح كفروا به عند مبعثه ، وأقاموا ينتظرون متى يأكل الأسد التبن حتى تصح لهم علامة مبعث المسيح ، ويعتقدون أن هذا المنتظر متى جاءهم يجمعهم بأسرهم إلى القدس ، وتصير لهم الدولة ، ويخلو العالم من غيرهم ، ويحجم الموت عن جنابهم المنيع مدة طويلة ، وقد عوضوا من الإيمان بالمسيح ابن مريم بانتظار مسيح الضلالة الدجال ، فإنه هو الذى ينتظرون حقاً ، وهم عسكره وأتبع الناس له ، ويكون لهم فى زمانه شوكة ودولة إلى أن ينزل مسيح الهدى ابن مريم فيقتل منتظرهم ، ويضع هو وأصحابه فيهم السيوف حتى يختبىء اليهودى وراء الحجر والشجر فيقولان : يا مسلم هذا يهودى ورائى تعال فاقتله[2] .

فإذا نظف الأرض منهم ومن عباد الصليب فحينئذ يرعى الذئب والكبش معاً ، ويربضان معاً ، وترعى البقرة والذئب معاً ، ويأكل الأسد التبن ، ويلقى الأمن فى الأرض ، هكذا

---

(١) ربضت الغنم وغيرها من الدواب : طوت قوائمها ولصقت بالأرض وأقامت .

(٢) صحيح . البخارى فى الجهاد . باب قتال اليهود [٦/١٢١] ومسلم فى الفتن . باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل .. [٧٩ - ٨٢] .

أخبر به إشعياء فى نبوته[1] وطابق خبره ما أخبر به النبى ﷺ فى الحديث الصحيح فى خروج الدجال وقتل المسيح ابن مريم له ، وخروج يأجوج ومأجوج فى أثره ومحقهم من الأرض ، وإرسال البركة والأمن فى الأرض حتى ترعى الشاة والذئب ، وحتى إن الحيات والسباع لا تضر الناس فصلوات الله وسلامه على من جاء بالهدى والنور وتفصيل كل شىء وبيانه ، فأهل الكتاب عندهم عن أنبيائهم حق كثير لا يعرفونه ولا يحسنون أن يضعوه مواضعه ، ولقد أكمل الله سبحانه بمحمد ﷺ ما أنزله على الأنبياء عليهم السلام من الحق وبينه وأظهره لأمته ، وفصّل على لسانه ما أجمله لهم وشرح ما رمزوا إليه ، فجاء بالحق وصدق المرسلين ، وتمت به نعمة الله على عباده المؤمنين .

فالمسلمون واليهود والنصارى تنتظر مسيحاً يجيء فى آخر الزمان ، فمسيح اليهود هو الدجال ، ومسيح النصارى لا حقيقة له ، فإنه عندهم إله وابن إله وخالق ومميت ومحيى ، فمسيحهم الذى ينتظرونه هو المصلوب المسمر المكلل بالشوك بين اللصوص ، المصفوع الذى هو مصفعة اليهود ، وهو عندهم رب العالمين وخالق السموات والأرضين ، ومسيح المسلمين الذى ينتظرونه هو عبد الله ورسوله وروحه ، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول عيسى ابن مريم ، أخو عبد الله ورسوله محمد بن عبد الله ﷺ ، فيظهر دين الله وتوحيده ، ويقتل أعداءه عباد الصليب الذين اتخذوه وأمه إلهين من دون الله ، وأعداءه اليهود الذين رموه وأمه بالعظائم فهذا هو الذى ينتظره المسلمون . وهو نازل على المنارة الشرقية بدمشق ، واضعاً يديه على منكبى ملكين ، يراه الناس عياناً بأبصارهم نازلاً من السماء ، فيحكم بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ، وينقذ ما أضاعه الظلمة والفجرة والخونة من دين رسول الله ﷺ ، ويحيى ما أماتوه ، وتعود الملل كلها فى زمانه ملة واحدة وهى ملته وملة أخيه محمد وملة أبيهما إبراهيم وملة سائر الأنبياء ، وهى الإسلام الذى من يبتغى غيره ديناً فلن يُقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين . وقد حمل رسول الله ﷺ من أدركه من أمته السلام ، وأمره أن يقرئه إياه منه ، فأخبر عن موضع نزوله بأى بلد وبأى مكان منه ، وبحاله وقت نزوله ، وملبسه الذى كان عليه ، وأنه « ممصرتان » أى ثوبان ، وأخبر بما يفعل عند نزوله مفصّلاً حتى كأن المسلمين يشاهدونه عياناً قبل أن يروه[2].

وهذا من جملة الغيوب التى أخبر بها فوقعت مطابقة لخبره حذو القذة بالقذة ، فهذا منتظر المسلمين لا منتظر المغضوب عليهم والضالين ، ولا منتظر إخوانهم من الروافض

(١) نصه كما ورد فى إشعياء : « فيسكن الذئب مع الخروف ، ويربض النمر مع الجدى والعجل والشبل والمسمن معاً وصبى صغير يسوقها ، البقرة والدابة ترعيان . تربض أولادهما معاً والأسد كالبقرة يأكل تبناً .. » إشعياء [١١ : ٦ - ٨]

(٢) فيما يتعلق بالمسيح الدجال ويأجوج ومأجوج والمسيح ابن مريم عليه السلام انظر تفاصيل ذلك فى « نهاية البداية والنهاية فى الفتن والملاحم » لابن كثير [١/٥٧ - ١٢٨] .

المارقين ، وسوف يعلم المغضوب عليهم إذا جاء منتظر المسلمين أنه ليس بابن يوسف النجار ، ولا هو ولد زنية ، ولا كان طبيباً حاذقاً ماهراً فى صناعته استولى على العقول بصناعته ، ولا كان ساحراً ممخرقاً ، ولا مكنوا من صلبه وتسميره وصفعه وقتله ، بل كانوا أهون على الله من ذلك . ويعلم الضالون أنه ابن البشر ، وأنه عبد الله ورسوله ليس بإله ولا ابن إله ، وأنه بَشَّر بنبوة محمد أخيه أولاً وحكم بشريعته ودينه آخراً ، وأنه عدو المغضوب عليهم والضالين ، وولى رسول الله وأتباعه المؤمنين ، وما كان أولياؤه الأرجاس الأنجاس عبدة الصلبان والصور المدهونة فى الحيطان ، إنْ أولياؤه إلا الموحدون عباد الرحمن أهل الإسلام والإيمان ، الذين نزهوه وأمه عما رماهما به أعداؤهما اليهود ، ونزهوا ربه وخالقه ومالكه وسيده عما رماه به أهل الشرك والسب للواحد المعبود .

فصل : فلنرجع إلى الجواب علىٰ طريق من يقول : « إنهم غيروا ألفاظ الكتب وزادوا ونقصوا » كما أجبنا على طريق من يقول : « إنما غيروا معانيها وتأولوها على غير تأويلها » ، قال هؤلاء : « نحن لا ندعى ولا طائفة من المسلمين أن ألفاظ كل نسخة فى العالم غيرت وبدلت ؛ بل من المسلمين من يقول إنه غير بعض ألفاظها قبل مبعث رسول الله ﷺ ، وغيرت بعض النسخ بعد مبعثه ، ولا يقولون إنه غيرت كل نسخة فى العالم بعد المبعث ؛ بل غير البعض وظهر عند كثير من الناس تلك النسخ المغيرة المبدلة دون التى لم تبدل ، والنسخ التى لم تبدل موجودة فى العالم » .

ومعلوم أن هذا مما لا يمكن نفيه والجزم بعدم وقوعه ؛ فإنه لا يمكن أحد أن يعلم أن كل نسخة فى العالم على لفظ واحد بسائر الألسنة ، ومن الذى أحاطَ بذلك علماً وعقلاً ؟!. أهل الكتاب يعلمون أن أحداً لا يمكنه ذلك .

وأما من قال من المسلمين : إن التغيير وقع فى أول الأمر فإنهم قالوا : إنه وقع أولاً من عَزْرَا الوراق ، فى « التوراة » فى بعض الأمور إما عمداً وإما خطأً ، فإنه لم يقم دليل على عصمته ولا أن تلك الفصول التى جمعها من التوراة بعد احتراقها هى عين التوراة التى أنزلت على موسى ، وقد ذكرنا أن فيها ما لا يجوز نسبته إلى الله وأنه أنزله على رسوله وكليمه ، وتركنا كثيراً لم نذكره .

الأناجيل فيها المتناقضات

وأما « **الإنجيل** » فهى أربعة أناجيل أخذت على أربعة نفر ، اثنان منهم لم يريا المسيح أصلاً وهما : مرقس ولوقا ، واثنان رأياه واجتمعا به وهما : متى ويوحنا[1] ، وكل منهم يزيد وينقص ويخالف إنجيله إنجيل أصحابه فى أشياء ، وفيها ذكر القول ونقيضه .

(١) تحدث الأستاذ موريس فورن ناظر مدرسة العلوم العليا فى باريس والمدرس فى القسم الدينى بها عن الأناجيل فأبدى شكه =

ففيه أنه قال : « إن كنت أشهد لنفسى فشهادتى غير مقبولة ؛ ولكن غيرى يشهد لى »[1] ، وقال فى موضع آخر : « إن كنت أشهد لنفسى فشهادتى حق لأنى أعلم من أين جئت ؟ وإلى أين أذهب ؟ »[2] .

وفيه أنه لما استشعر بوثوب اليهود عليه قال : « قد جزعت نفسى الآن فماذا أقول ؟ يا أبتاه سلمنى من هذا الوقت »[3] ، وأنه لما رفع على خشبة الصلب صاح صياحاً عظيماً وقال : « يا إلهى ! لم أسلمتنى ؟ »[4] . فكيف يجتمع هذا مع قولكم : إنه هو الذى اختار إسلام نفسه إلى اليهود ليصلبوه ويقتلوه رحمة منه بعباده حتى فداهم بنفسه من الخطايا ، وأخرج بذلك آدم ونوحاً وإبراهيم وموسى وجميع الأنبياء من جهنم بالحيلة التى دبرها على إبليس ؟ وكيف يجزع إله العالم من ذلك ؟ وكيف يسأل السلامة منه وهو الذى اختاره ورضيه ؟! وكيف يشتد صياحه ويقول : « يا إلهى لم أسلمتنى ؟ » وهو الذى أسلم نفسه ؟! وكيف لم يخلصه أبوه مع قدرته على تخليصه وإنزال صاعقة على الصليب وأهله أم كان رباً عاجزاً مقهوراً مع اليهود .

وفيه أيضاً « أن اليهود سألته أن يظهر لهم برهاناً أنه المسيح ، فقال : تهدمون هذا البيت ـ يعنى بيت المقدس ـ وأبنيه لكم فى ثلاثة أيام ، فقالوا له : بيت مبنى فى ست وأربعين سنة تبنيه أنت فى ثلاثة أيام ؟! »[5] ، ثم ذكرتم فى الإنجيل أيضاً « أنه لما ظفرت به اليهود وحمل إلى بلاط عامل قيصر واستدعيت عليه بينة أن شاهدى زور جاءا إليه وقالا : سمعناه يقول أنا قادر على بنيان بيت المقدس فى ثلاثة أيام »[6] ، فيالله العجب كيف يدعى أن تلك المعجزة والقدرة له ويدعى أن الشاهدين عليه بها شَاهِدا زور ؟.

وفيه أيضاً للوقا : « أن المسيح قال لرجلين من تلامذته : اذهبا إلى الحصن الذى يقابلكما ، فإذا دخلتماه فستجدان فِلْواً مربوطاً لم يركبه أحد فحلاه وأقبلا به إلى »[7] ، وقال فى إنجيل متى فى هذه القصة : « إنها كانت حمارة متبعة »[8] .

فى صحة نسبة الأناجيل الثلاثة الأولى إلى متى ومرقص ولوقا إلى من نسبت إليهم من الحواريين لدرجة تعادل الرفض تماما ، وأما عن إنجيل يوحنا فإنه لامرية ولا شك أنه كتاب مزور أراد صاحبه أن يضاد الحواريين متى ويوحنا وادعى أن هذا الكتاب المزور هو للحوارى يوحنا الصياد الذى يحبه المسيح فأخذت الكنيسة هذه الخملة على علاتها وجزمت بأن الكاتب هو يوحنا الحوارى ووضعت اسمه على الكتاب نصاً مع أن صاحبه غير يوحنا يقيناً . [انظر محمد نبى الإسلام للأستاذ محمد عزت ص ٩٥ ، ٩٦] .

(١) يوحنا ٥ : ٣١ - ٣٣ .
(٢) يوحنا ٨ : ١٤ .
(٣) متى ٢٦ : ٣٨ - ٤٦ .
(٤) متى ٢٧ : ٤٦ .
(٥) يوحنا ٢ : ١٨ - ٢٠ .
(٦) متى ٢٦ : ٦١ .
(٧) لوقا ١٩ : ٢٩ ، ٣٠ . والفِلْو : الجَحْش أو المُهْر يُفطمُ أو يبلغ السنه .
(٨) متى قائلا : « فللوقت نجدان أتانا مربوطة وجحشاً معها محلاهما وأتيانى بهما » [متى ٢١ : ٢] .

وفيه أنه قال : « لا تحسبوا أنى قدمت لأصلح بين أهل الأرض ، لم آت لصلاحهم ، لكن لألقى المحاربة بينهم ؛ إنما قدمت لأفرق بين المرء وابنه والبنت وأمها حتى يصير أعداء المرء أهل بيته »[١] ، ثم فيه أيضاً : « إنما قدمت لتحيوا وتزدادوا خيراً وأصلح بين الناس »[٢] ، وأنه قال : « من لطم خدك اليمين فأنصب له الآخر »[٣] .

وفيه أيضاً أنه قال : « طوبى لك يا شمعون بن يونا ، وأنا أقول إنك بطرس وعلى هذا الحجر تبنى بيعتى ، فكلما أحللته على الأرض يكون محللاً فى السماء ، وما عقدته على الأرض يكون معقوداً فى السماء »[٤] ، ثم فيه بعينه بعد أسطر يقول له : « اذهب يا شيطان ولا تعارض فإنك جاهل »[٥] ، فكيف يكون شيطان جاهل مطاع فى السموات .

وفى الإنجيل نص : « أنه لم تلد النساء مثل يحيى »[٦] ، هذا فى إنجيل متى ، وفى إنجيل يوحنا : إن اليهود بعثت إلى يحيى من يكشف عن أمره ، فسألوه من هو ، أهو المسيح ؟ قال : لا ، قالوا : نراك إلياس ؟ قال : لا ، قالوا : أنت النبى ؟ قال : لا ، قالوا : أخبرنا من أنت ؟ قال : أنا صوت مناد المفاوز »[٧] ، ولا يجوز لنبى أن ينكر نبوته فإنه يكون مخبراً بالكذب .

ومن العجب أن فى إنجيل متى نسبة المسيح إلى أنه ابن يوسف ، فقال : عيسى بن يوسف ابن فلان ، ثم عد إلى إبراهيم الخليل تسعة وثلاثين أباً[٨] . ثم نسبه لوقا أيضاً فى إنجيله إلى يوسف ، وعد منه إلى إبراهيم نيفاً وخمسين أباً[٩] . فبينا هو إله تام إذ صيروه ابن الإله ثم جعلوه ابن يوسف النجار[١٠] .

الاضطراب يشهد بالتغيير

والمقصود أن هذا الاضطراب فى « الإنجيل » يشهد بأن التغيير وقع فيه قطعاً ، ولا يمكن

(١) متى ١٠ : ٣٤ - ٣٦ .
(٢) يوحنا ٥ : ٣٩ .
(٣) متى ٥ : ٣٩ .
(٤) متى ١٦ : ١٧ - ١٩ . وورد اسمه « سمعان بن يونان » .
(٥) متى ١٦ : ٢٣ .
(٦) متى ١١ : ١١ .
(٧) النص كما ورد فى إنجيل يوحنا « وهذه هى شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه من أنت ؟ فاعترف ولم ينكر ، وأقر أنى لست أنا المسيح . فسألوه إذاً ماذا ؟ إيليا أنت فقال : لست أنا . ألنبى أنت ؟ فأجاب لا . فقالوا له : من أنت لنعطى جوابا للذين أرسلونا ماذا تقول عن نفسك . قال : أنا صوت صارخ فى البرية قوموا طريق الرب كما قال إشعياء النبى » [يوحنا ١ : ١٩ - ٢٣] ومن خلال إيراد المؤلف لهذا النص مقابلا لسابق يفهم أنه يقصد إنكار يحيى لنبوته . والمراد أن الكهنة يسألون يحيى هل هو النبى الذى أخبر عنه موسى وهو محمد ﷺ أم لا ، فأجابهم يحيى بكونه ليس هو لا بكونه ليس نبياً .
(٨) متى : الإصحاح الأول .
(٩) لوقا ٣ : ٢٣ - ٣٨ .
(١٠) انظر كتاب « المسيح إنسان أم إله » للأستاذ محمد مجدى مرجان حيث علل ربط كتاب الأناجيل نسب المسيح بداود عليه السلام [صـ ٣٠ - ٣٣] .

أن يكون ذلك من عند الله ؛ بل الاختلاف الكثير الذى فيه يدل على أن ذلك الاختلاف من عند غير الله ، وأنت إذا اعتبرت نسخة ونسخ التوراة التى بأيدى اليهود والسامرة والنصارى رأيتها مختلفة اختلافاً يقطع من وقف عليه بأنه من جهة التغيير والتبديل[1] .

وكذلك نسخ « الزبور » مختلفة جداً ومن المعلوم أن نسخ التوراة والإنجيل إنما هى عند رؤساء اليهود والنصارى وليست عند عامتهم ، ولا يحفظونها فى صدورهم كحفظ المسلمين للقرآن ، ولا يمتنع على الجماعة القليلة التواطؤ على تغيير بعض النسخ ، ولاسيما إذا كان بقيتهم لا يحفظونها ، فإذا قصد طائفة منهم تغيير نسخة أو نسخ عندهم أمكن ذلك ، ثم إذا تواطئوا على أن لا يذكروا ذلك لعوامهم وأتباعهم أمكن ذلك ، وهذا واقع فى العالم كثيراً .

فهؤلاء اليهود تواطئوا وتواصوا بكتمان نبوة المسيح وجحد البشارة به وتحريفها واشتهر ذلك بين طائفتهم فى الأرض مشارقها ومغاربها ، وكذلك تواطئوا على أنه كان طبيباً ساحراً ممخرقاً ابن زانية ، وتواصوا به مع رؤيتهم الآيات الباهرات التى أرسل بها وعلمهم أنه أبعد خلق الله مما رمى به وشاع ما تواطئوا عليه وملئوا به كتبهم شرقاً وغرباً ، وكذلك تواطئوا على أن لوطاً نكح ابنتيه وأولدهما أولاداً وشاع ذلك فيهم جميعهم ، وتواطئوا على أن الله ندم وبكى على الطوفان وعض أنامله ، وصارع يعقوب فصرعه يعقوب ، وأنه راقد عنهم وأنهم يسألونه أن ينتبه من رقدته وشاع ذلك فى جميعهم .

وكذلك تواطئوا على فصول لفقوها بعد زوال مملكتهم يصلون بها ، لم تعرف عن موسى ولا عن أحد من أتباعه ، كقولهم فى صلاتهم : « اللهم اضرب ببوق عظيم لعنقنا ، واقبضنا جميعاً من أربعة أقطار الأرض إلى قدسك ، سبحانك ، يا جامع تشتيت قوم إسرائيل » ، وقولهم فيها : « اردد حكامنا منا كالأولين وسيرتنا كالابتداء ، وابْنِ أورشليم قرية قدسك فى أيامنا وأعزنا ببنائها ، سبحانك ، يا بانى أورشليم » ، ولم يكن موسى وقومه يقولون فى صلاتهم شيئاً من ذلك .

وكذلك تواطؤهم على قولهم فى صلاتهم أول العام ما حكيناه عنهم ، وكذلك تواطؤهم على شرح صوم إحراق بيت المقدس وصوم حصا وصوم كدليا وفرضهم ذلك وصوم صلب هامان وقد اعترفوا بأنهم زادوها لأسباب اقتضتها ، وتواطئوا بذلك على مخالفة ما نصت عليه التوراة من قوله : « لا تزيدوا على الأمر الذى أنا موصيكم به شيئاً ، ولا تنقصوا منه شيئاً »[2] .

فتواطئوا على الزيادة والنقصان وتبديل أحكام الله ، كما تواطئوا على تعطيل فريضة الرجم على الزانى وهو فى التوراة نصاً[3] .

(١) فيما يختص بالأغلاط التى وقعت فى التوراة والإنجيل، انظر إظهار الحق لرحمت الله الهندى [١/١٧٢ - ٢٢١] .

(٢) تثنية ٤ : ٢ . (٣) تثنية : الإصحاح الثانى والعشرون .

وكذلك تواطؤهم على امتناع النسخ على الله فيما شرعه لعباده تمسكاً منهم باليهودية ، وقد أكذبتهم التوراة وسائر النبوات[1].

ومن العجائب حجرهم على الله أن ينسخ ما شرعه لئلا يلزم البداء[2] ثم يقولون إنه ندم وبكى على الطوفان وعاد فى رأيه وندم على خلق الإنسان ، وهذه مضارعة لإخوانهم من عباد الصليب الذين نزهوا رهبانهم عن الصاحبة والولد ثم نسبوهما إلى الفرد الصمد .

ومن ذلك تواطؤهم على أن الملك يعود إليهم وترجع الملل كلها إلى ملة اليهودية ويصيرون قاهرين لجميع أهل الملل ، ومن ذلك تواطؤهم على تعطيل أحكام التوراة وفرائضها ، وتركها فى جل أمورهم إلا اليسير منها وهم معترفون بذلك وأنه أكبر أسباب زوال ملكهم وعزهم .

فكيف ينكر من طائفة تواطأت على تكذيب المسيح وجحد نبوته وبهته وبهت أمه والكذب الصريح على الله وعلى أنبيائه وتعطيل أحكام الله والاستبدال بها وعلى قتلهم أنبياء الله أن تتواطأ على تحريف بعض التوراة ، وكتمان نعت محمد رسول الله ﷺ وصفته فيها .

وأما أمة الضلال وعباد الصليب والصور المزوقة فى الحيطان ، وإخوان الخنازير ، وشاتموا خالقهم ورازقهم أقبح شتم ، وجاعلوه مصفعة اليهود ، وتواطؤهم على ذلك ، وعلى ضروب المستحيلات وأنواع الأباطيل ، فلا إله إلا الله الذى أبرز للوجود مثل هذه الأمة التى هى أضل من الحمير ومن جميع الأنعام السائمة ، وخلى بينهم وبين سبه وشتمه وتكذيب عبده ورسوله ومعاداة حزبه وأوليائه وموالاة الشيطان ، والتعوض بعبادة الصور والصلبان عن عبادة الرحمن الرحيم ، وعن قول الله أكبر بالتصليب على الوجه ، وعن قراءة ﴿ **الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ** ﴾ بـ « اللهم أعطنا خبزنا الملائم لنا » وعن السجود للواحد القهار بالسجود للصور المدهونة فى الحائط بالأحمر والأصفر واللازورد . فهذا بعض شأن هاتين الأمتين اللتين عندهما آثار النبوة والكتاب ، فما الظن بسائر الأمم الذين ليس عندهم من النبوة والكتاب حس ولا خبر ، ولا عين ولا أثر ؟

---

(١) بعد أن يتحدث الشيخ رحمه الله عن النسخ وذكره لأمثلة من النسخ فى الشريعتين الموسوية والعيسوية يعلق قائلاً : « وإذا عرفت أمثلة القسمين ما بقى لك شك من وقوع النسخ بكلا**قسميه**فى الشريعة الموسوية والعيسوية ، وظهر أن ما يدعيه أهل الكتاب من امتناع النسخ باطل لا ريب فيه ، كيف لا وأن المصالح قد تختلف باختلاف الزمان والمكان والمكلفين ، فلبعض الأحكام يكون مقدوراً للمكلفين فى بعض الأوقات ولا يكون مقدوراً فى بعض آخر ، ويكون البعض مناسباً لبعض المكلفين دون بعض » [١/٣٩٨] .

(٢) البَدَاءُ : ظهور الرأى بعد أن لم يكن . واستصواب شىء عُلِمَ بعد أن لم يُعْلم .